كلية: الآداب واللغات الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

قسم: اللغة والأدب العربي وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

تخصص: لسانيات عامة

الرقم التسلسلي : .....

رقم التسجيل : ط1 :1539016289

رقم التسجيل : ط2 :1535061644

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص لسانيات عامة

المناسبة بين الآيات والسّور بين الدّراسات القرآنيّة والدّراسات اللسانيّة النّصيّة الحديثة

إعداد الطالبين :

أيمن ميلود الأبقع

صام دينا آية الرحمن

أمام لجنة المناقشة المكونة من الأساتذة :

الرقم	الاسم و اللقب	الرتبة	المؤسسة	الصفة	الإمضاء
01	سليمان بوراس	أستاذ التعليم العالي	جامعة المسيلة	رئيسا	
02	مقران شطة	أستاذ محاضر ب	المدرسة العليا سطيف	مشرفا و مقررا	
03	واسيني بن عبدالله	أستاذ محاضر أ	جامعة المسيلة	ممتحنا	

.... جامعة المسيلة مناقشا

السنة الجامعية: 1441– 1442 / 2020 – 2021

شكر وعرفان

قيل:"العلم ثلاثة أشبار: من تعلم شبرا تكبر على الناس، ومن تعلم شبرين تواضع، ومن تعلم ثلاثة أشبار علم أنه لا يعلم شيئا"

بعد رحلة معرفية شاقة، نشكر الله عز وجل الذي وفقنا لإنجاز هذا العمل، ونحمده على نعمته التي منى بها علينا فهو العلي القدير.

نتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى الدكتور "مقران شطة" والدكتور "سليمان بوراس" الذين أشرفا على هذا البحث وأنارا سبيل هذا العمل وكانا خير معينين، كما نشكر كل من ساعدنا في إنجاز هذا البحث.

أما شكرنا الخاص فلمن أنار دربنا وزرع التفاؤل في أنفسنا وأسهم في تشجيعنا أثناء إنجاز هذا البحث، عائلتينا (عائلة صام) و(عائلة الأبقع)، فلهم منا فائق الشكر والامتنان.

الإهداء

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبذكره تتنزل الرحمات وبشكره تزيد الخيرات.

وجد الإنسان على وجه الأرض، ولم يعش يوما بمعزل عن باقي البشر، وفي جميع مراحل الحياة، يوجد أناس يستحقون منا الشكر:

وأولى الناس بالشكر هما الأبوان؛ لما لهما من الفضل ما يبلغ عنان السماء؛ فوجودهما سبب للنجاح والفلاح في الدنيا والآخرة.

إلى أستاذينا "د.مقران شطة"، "أ.د سليمان بوراس" اللذين كلما لجأنا إليهما وسألناهما عن معرفة زودانا بها.

إلى كل من ساعدنا على إنجاز مذكرة تخرجنا وقدم لنا يد العون.

الإهداء

إلى العالمين

....

أجمعين...

أبتعين.....

أكتعين.....

أبصعين.....

راجي عفو ربه

أيمن ميلود....

مـــــــــقدمة

مقدمة :

القرآن الكريم ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾[هود -1]، نزل بلسان عربي مبين على قوم كانت الفصاحة والبيان علما لهم، يستمعون له فيسحرون فمنهم ظالم جاحد ومنهم مؤمن مصدقه، تفيض عيونهم لما عرفوا من الحق لملاسته مكمن الأفئدة ولما كان القوم على سلامة لغتهم و نقاء فصاحتهم و انتفاء اللحن وبعد مخالطة العجم كانوا يدركون أسرار الكتاب ويتغوصون فيها موظفين مكنوناتهم ومعرفتهم أساليب العرب و طرائقهم في الكلام نظما ونثرا، خطابة و بيانا، ولما دخل اللحن وتفشى في الأمم احتيج إلى أن يقعد إلى علوم العربية، لتحفظ سياقاتها و أساليبها للقياس عليها، ولحفظ سبيل الوصول لفهم معاني الكتاب، بغية التفسير والإيضاح و استخلاص الأحكام و العمل بمقتضاه والفهم لمراد الله من عباده، ولما كان الكتاب معجزة النبي صلى الله عليه و سلم الخالدة، وكان حفظ القرآن اختصاصا ربانيا، حفظ لألفاظه و آياته حتى وصل إلينا متواترا جماعة عن جماعة مصونا عن التغيير والتحريف ، فكذلك كان حفظ المعاني ومقاصده من حفظ الله تعالى له، فجعل الله في هاته الأمة من ينبري لهاته الفضيلة اصطفاء واختيارا فكان العلماء يقعدون لعلوم القرآن و يصنفون و يؤلفون وتعقد المجالس و تبذل الأنفاس ابتغاء الغاية الأسمى للحديث المروي عن أبي هريرة رضي الله عنه (وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة و غشيتهم الرحمة و حفتهم الملائكة و ذكرهم الله فيمن عنده) رواه مسلم[1].

يأتي هذا البحث لأجل استكمال مقتضيات الحصول على شهادة الماستر، ويتمحور موضوعه حول علم جليل دقيق من علوم القرآن ألا وهو علم المناسبة، مع مقاربة حديثة فيما يسمى بلسانيات النص، وعنوانه هو: **المناسبة بين الآيات والسور بين الدّراسات**

[1] أبو الحسين مسلم بن الحجاج،صحيح مسلم المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ مجلس التحقيق العلمي لدار السلام، الطبعة الثانية، دار السلام،الرياض،المملكة السعودية ،2000م ،ص325

القرآنية والدّراسات اللسانيّـــــة النصية الحديثة.وأهمية الموضوع تتجلى في أهمية مقصده وغايته وهو الفهم الصحيح للكتاب العزيز، والتغوص في معانيه بغية استنباط و استخلاص مكنونات كنوزه المطوية بين ثناياه و اليقين أن الكتاب هو المعجزة الخالدة التي تحدى الله بها أن يأتوا بسورة فإلا بعشر آيات و إلا فآية ، بيد أنهم عجزوا و أبكموا ..

وتدور إشكالية هذا البحث حول سؤال محوري: هل سبق العلماء العرب من مفسرين وبلاغيين وغيرهم علماء اللسانيات في التقعيد للمعارف التي تدرس النصوص العادية كالاتساق والانسجام؟ وإذا كان القرآن الكريم هو الأنموذج الأرقى للغة العربية وهو المدونة الأم لاستخلاص اللغة وهو الأنموذج الأعظم للتماسك الدلالي والاتساق اللفظي، حيث لا يمكن أن تجد لفظة تنوب عنها أخرى عوضها لأن الله أحكم آياته، فهل يمكن القول أن الارهاصات الأولى لعلوم المناسبة هي نفسها التي في اللسانيات النصية؟ و هل أخذت اللسانيات النصية عن المعارف المناسبتية؟أم هل هناك تقاطعات أو تقاربات بين قواعد هاته العلوم؟

وقد توزعت مفاصل هذا البحث وفق خطة تجلت في مدخل قدمنا فيه لمبحث علم المناسبة و نشأة هذا الفن و إرهاصاته الاولى و أعلامه و المؤلفين فيه و لبعض قواعده و شروطه. وفصل أول قدمنا فيه لبعض أنواع المناسبة وأدوات تحققها، و مثلنا لذلك بنماذج من القرآن الكريم اختيارا من كتب المناسبة والتفاسير. وأما الفصل الثاني ففيه مبحثان كذلك قدمنا في الأول منهما لعلم اللسانيات النصية تحديدا الاتساق والانسجام و المبحث الثاني

جعلناه للمقارنة بين هاته العلوم ومحاولة إيجاد الخطوط الرفيعة المتقاطعة أو المتقاربة بين علم المناسبة عند العلماء القرآنيين التراثيين و بين علم اللسان النصي عند العلماء اللسانيين المحدثين.

وقد اتبعنا في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، وحاولنا التزامه قدر الإمكان وعدم الخروج عنه إلا ما غفلنا فيه وشردنا. وكان اعتمادنا في هذه البحث على كتب التفاسير البيانية واللغوية وكتب المناسبات بشكل أساسي. ولأننا لا نعد من السابقين في هذا الموضوع فإننا قد وقفنا على الكثير من الدراسات السابقة والمقالات العلمية التي اهتدينا بنورها و استعنَّا بها نتحسس بها السبيل للوصول للبغية المرجوة من هذا العمل التي نذكر منها : التناسب القرآني عند البقاعي للدكتور موسى مشهور و رسالة دكتوراه التناسب القرآني عند ابن عاشور للطالب خالد محمود محمد عزام ومقالات في مجلات محكمة منها مقال ظاهرة المناسبة واتساق النص ومقال التماسك النصي وعلم المناسبات و غيرها

وقد تصدتنا في الطريق عقبات وصعاب حالت بيننا وبين كمال العمل على أحسن وجه ومن بين هاته الصعوبات التعامل مع المدونة القرآنية، فهينظرا لما تحمل من القدسية تجعلنا شديدي الحذر في النظر فيها، خاصة أثناء محاولة تطبيق القواعد اللسانية عليها، و كذلك الخشية من الوقوع في الاجتراء والتأول بغير مراد الله منزل الكتب جلَّ في علاه. كما أن دقة الموضوع كانت من صعوبات البحث؛ ذلك أن المناسبة علم ينظر في الاتصالات و الروابط ، مما جعل الكثير من المفسرين يعرضون عنه

وحتى لا ننسى أهل الفضل ومستحقيه كان لا بد من كلمة شكر في حق الأستاذ المشرف الدكتور شطة مقران لوقوفه على العمل حتى تجلى له بين يديه، كما نشكر له صبره وحسن مرافقتنا حتى اهتدى بنا إلى مرفأ الغاية و الوصول و كذل لا ننسى محيلنا على الموضوع ومنتقيه و اختيارنا لأجل الانبراء له ظانا بنا خيرا ، و إن لم نكن أهلا لظنه،الأستاذ الدكتور سليمان بوراس و كذلك كل من رافقنا و دعمنا بكلمة بنصيحة بإحالةو بدعوة بل بابتسامة.

الطالبان: أيمن ميلود الأبقع و دينا آية الرحمن.

سطيف، 15 جوان 2021

مـــدخـــل:

مفهوم المناسبة

علوم القرآن عديدة مديدة، انبرى لها الكثير من العلماء و اشتغلوا عليها من أمثال السيوطي و الزركشي و الزمخشري.ومن بين الذين أفردوا هذه العلوم تأليفا أبو الفضل جلال الدين السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن، و برهان الدين الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن يقول السيوطي في مقدمة الإتقان متحدثا عن علوم القرآن: « فهذه ثمانون نوعا على سبيل الدمج، ولو نوعت باعتبار ما أدمجته في ضمنها لزادت على الثلاثمئة» [1] ولا نستكثر على السيوطي كلامه ولا غرو فإن المنزل للكتاب قال في محكمه: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان62] على أن المراد بكلمات الله معانيه على أحد القولين. وقد أورد السيوطي في النوع الثاني و الستين و بوب له بـ : في مناسبة الآيات و السور. وأورد برهان الدين الزركشي في كتابه البرهان بابا وسم بـ : معرفة المناسبات بين الآيات، فعليه يتبين لنا أن المناسبة علم من علوم الكتاب، فما المناسبة لغة، وما المناسبة بصفتها مصطلحا علميا وما علم المناسبة و ماهيته؟

1- المناسبة لغة:

يقول ابن فارس « النون و السين والباء كلمة واحدة قيامها اتصال شيء بشيء.ومنه النسب لاتصاله و اتصاله به »[2]. و يقول ابن منظور «النسب نسب القرابات وهو واحد الأنساب...و تقول : ليس بينهما مناسبة أي مشاكلة» [3]. وعليه فإن المعول عليه في التعريف اللغوي هو المقاربة والاتصال و المشاكلة

[1] أبوبكرعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي ،الإتقان في علوم القرآن، ج4، تح: مكتب الدراسات القرآنية مجمع الملك فهد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، (د ت)، ص 17

[2] أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 5، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر ، بيروت ،1979، ص 423.

[3] عبد الله محمد بن المكرم ابن منظور ، لسان العرب ، تح: عبد الله علي الكبير، دار المعارف، القاهرة ، مصر ،باب (نسب)، ص 4406

ويقول امرؤ القيس :

«أجارتنا إن الخطوب تنوب و إني مقيم ما أقام عسيب

أجارتنا إنا غريبان هاهنا وكل غريب للغريب نسيب. »[1][الطويل

2- المناسبة اصطلاحا:

يقول برهان الدين الزركشي: « علم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال ، وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها .»[2]و يقول الزركشي أيضا « واعلم بأن المناسبة علم شريف ، تحرز به العقول و يعرف به قدر القائل فيما يقول»[3] و يقول جلال الدين السيوطي: «وعلم المناسبة علم شريف قل اعتناء المفسرين به لدقته..»[4] وقال ابن العربي: «ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني ، منتظمة المباني علم عظيم ...»[5].

وحسب ماورد في كلام علماء القرآن فإنه يمكن أن نقول أن المناسبة علم عظيم و شريف لدقته، وإنها تكمن في تتبع الروابط و البحث عن الصلات بين الآيات باستثارة النظر و إيقاد جذوة التدبر، وإنها استنباط للعلائق بين الآيات و السور، سواء ما كان بين السور أو داخل السورة الواحدة بل يتعدى للآيات بين السور.

3- نشأة علم المناسبة وتطوره:

إن لهذا العلم إرهاصات و ظهور في العهد النبوي وما بعده، ومما ايدل على ذلك ما أورده القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[المومنون

---

[1] امرؤ القيس ، ديوان امرئ القيس ، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1972، ص 79

[2] برهان الدين أبو الحسن إبراهيم البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات و السور، ج1 ،تح : محمد عمران الأعظمي، دار المعارف الإسلامية، القاهرة ، مصر ، 1984 ، ص 6

[3] بدرالدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن،ج1 ، تح : يوسف عبد الرحمن المرعشلي و آخرون ، دار المعرفة ، بيروت، 1990 ، ص 131

[4] السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن، ج4، ص 1836

[5] ينظر: المرجع نفسه، ج4 ص1837 / والزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 132 / والبقاعي، نظم الدررج1، ص 76.

– 14] حيث إن النبي ﷺ لما تلا هاته الآيات و كان معه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ووصل قوله تعالى ﴿أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَۚ﴾ قال عمر : فتبارك الله أحسن الخالقين . فقال رسول الله ﷺ هكذا أنزلت .[1]فهذا يدل على أن العرب الأوائل كانوا يتذوقون النصوص حتى تمكن من التنبؤ بالعبارة الأخيرة من الآية.

و مما يدل على ذلك أيضا قصة الأصمعي مع الأعرابي كان الأصمعي يقرأ القرآن و الأعرابي ينصت وكان يقرأ من قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ٣٨﴾[المائدة – 38] فقال الأصمعي و الله غفور رحيم .فقال الأعرابي ما هذا يا أصمعي ؟ فقال كلام الله .قال إنه ليس بكلام الله فراجع الأصمعي نفسه و استدرك خطأه و قرأ ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌحَكِيمٌ﴾ فقال الأعرابي هكذا ، حكم وعز فقطع ولو رحم و غفر ما قطع .[2]وعليه فإن الناظر المتأمل يجد الكلام في المناسبات متقطعا متناثرا في ثنايا الحديث و التفاسير عموما.ولم يأخذ بعد هيئته و صفته العلمية المستقلة بعد، المقعدة لأصوله و قواعده و تنظيراته ومناهجه ومذاهبه.

ثم تطورت الاهتمام بعلم المناسبة في القرآن الكريم وانتقل من التفسيرات الجزئية إلى التفسير المتخصص. إذ إن أول من أظهر علم المناسبة هو أبو بكر النيسابوري، حيث يقول أبو الحسن الشهرباني: « أول من أظهر علم المناسبة ببغداد هو الشيخ أبو بكر النيسابوري ، وكان غزير العلم في الشريعة والأدب وكان يقول على الكرسي – إذا قرئ عليه –: لم جعلته هذه الآية إلى جنب هذه؟وما الحكمة في جعل السورة إلى جنب هذه السورة ؟ وكان يزري على علماء بغداد عدم علمهم بالمناسبة...»[3]. والحكم بأولية هذا العلم و نسبتة لأبي بكر النيسابوري صعب، لأن لم يجزم ويتحقق من شخصية أبا بكر من هو والذي أشار له ابن العربي كذلك لم يعرف[4]. والحال في هذه المرحلة التي لم تظهر فيها كتب

[1]محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 15 ، تح : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الرسالة ناشرون ، بيروت، 2006، ص 19.

[2] محمد عمر بازمول، علم المناسبات في السور والآيات، المكتبة المكية ، الرياض، 2002، ص 22

[3]المراجع نفسه، ص 22.

[4]ينظر: عبد الحكيم الأنيس، أضواء في ظهور علم المناسبة، المجلة الأحمدية، (د ت)، ص 23

اختصت بعلم المناسبة سوى بعض العبرات أو اللطائف والنكت . يقول السيوطي : «ومن أكثر منه الإمام فخر الدين الرازي وقال في تفسيره : أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والراوبط »[1]

ثم انتقل علم المناسبة إلى مرحلة التأليف المستقل إذ يورد السيوطي أن من الذين ألفوا فيه أسفارا برهان الدين البقاعي في كتابه نظم الدرر في تناسب الآيات و السور و أبو جعفر بن الزبير في كتاب سماه : البرهان في ترتيب سور القرآن. و ألف السيوطي أيضا قطوف الأزهار في كشف الأسرار الموسوم بـ : أسرار التنزيل و ألف أيضا تناسق الدرر في تناسب السور. وممن انبرى لهذا الفن أيضا في العصر الحديث المفسر اللغوي الطاهر بن عاشور في التحرير و التنوير و الدكتور صالح فاضل السامرائي في كتابه التناسب بين السور في المفتتح والخواتم.

4- مواقف العلماء من المناسبة في القرآن الكريم:

يتميز علم المناسبة بكونه علما وضعيا و عبارة عن اجتهادات علماء، وهي لم تكن بنص قرآني ولا بأمر نبوي، لذلك فقد كانت موضع خلاف بين العلماء،؛ حول وجودها وعلميتها، فريق يرى بوجودها و أنها علم له قواعد. وفريق آخر لم يعترض ولكن كانت له تحفظات و توجيهات على بعض القضايا في هذا العلم ونبتدئ بإيراد القائلين بعلم المناسبة والمنشغلين عليها:

4 - 1- المثبتون لعلم المناسبة :

لقد أثبت علم المناسبة الكثير من العلماء والمفسرين إما بلفظها الصريح أو التطبيق لها و إيرادها في تفسيراتهم، وقد انتقينا من هؤلاء النماذج الآتية:

- **الإمام فخر الدين الرازي:** أوردها في التفسير الكبير الموسم بـ مفاتيح الغيب وقال : «أكثر لطائف الكتاب مودعة في الترتيبات و الروابط .. » و قال أيضا في تفسير سورة البقرة :«

[1] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج4، ص 1839 .

ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة و في بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه و شرف معانيه فهو أيضا معجز بسبب ترتيبه و نظم آياته ... »[1]

– **القاضي أبو بكر بن العربي المالكي:** وقد نقل عنه السيوطي قوله: « قال ابن العربي في سراج المريدين : ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المعاني علم عظيم»[2]

– **بدر الدين الزركشي:** قدم له في كتابه البرهان في علوم القرآن في النوع الثاني وسماه : معرفة المناسبات بين الآيات.

– **أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي:** أفرده بتأليف كتاب سماه : البرهان في ترتيب سور القرآن.

– **برهان الدين البقاعي:** أفرده بسفر عظيم من ثلاثين مجلدا ، سماه نظم الدرر في تناسب الآيات و السور وهو مطبوع

– **جلال الدين السيوطي:** قدم له في كتابه معترك الأقران و الإتقان في علوم القرآن و أفرده بالتأليف في كتابه قطف الأزهار في كشف الأسرار الموسوم بـ أسرار التنزيل و تناسق الدرر في تناسب السور.

– **الطاهر بن عاشور:** يقول في كتابه التحرير و التنوير: « وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الاعجاز ونكت البلاغة العربية و أساليب الاستعمال ، واهتممت أيضا ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض ، وهو منزع جليل »[3].

– **فاضل صالح السامرائي:** وقد ألف في هذا الفن كتاب التناسب بين السور في المفتتح والخواتم، و قبسات من البيان القرآني. و له أيضا حصص علمية تبث على قناة الشارقة يناقش فيها هذا الفن و يقدم له.

[1] محمد فخر الدين الرزاي، التفسير الكبير – مفاتيح الغيب – ، ج 7 ، دار الفكر، بيروت ، ص 139 .

[2] السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن، ج4، 1838 .

[3] الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ،ج1، الدار التونسية للنشر، تونس، (د ت)، ص 7.

4- 2 - المتحفظون على علم المناسبة :

لعل الذي وقفنا عليه ليس اعتراضا صريحا و إنما هو تحفظ على بعض جزئيات هذا العلم، وهي مواقف وملاحظات على من طرقوا هذا العلم وسلكوا سبيله. وقد نقل السيوطي والزركشي هذا الموقف عن العز بن عبد السلام، حيث يقول:« المناسبة علم حسن، و لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر»[1]. وعليه فإن العز بن عبد السلام أقر بعلمية المناسبة بل أثنى عليها بقوله:(علم حسن)، و لكن اشترط لها أن يكون الكلام مرتبطا أوله بآخره، وهنا يشير لمسألة أن القرآن الكريم نزل منجما في بضع وعشرين سنة، واختلفت أسباب نزوله باختلاف الأزمنة و تغير الحوادث فكيف له أن يقع هنا الارتباط ؟ حيث يقول: «ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا برابط ركيك يصان عنه حسن الحديث فضلا عن أحسنه فإن القرآن نزل في نيف و عشرين سنة في أحكام مختلفة و لأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض ... »[2].

ومما يمكن أن نستخلصه من هذا الموقف أن علم المناسبة قائم معترف بوجوده, وأن الاعتراض على الربط بين آيات اختلف زمن نزولها و أمكنتها و تعددت أسبابها هو موضع التحفظ. لذلك تم اشتراط أن تكون الآيات مرتبطة بعضها ببعض من جهة أسباب النزول و الحوادث و الأسباب و الاتحاد الزمكاني. وأن الذين يثبتون مناسبات لآيات - اختلفت أسباب نزولها و أزمنتها و أماكنها - متكلفون.

لفت موقف العز بن عبد السلام من علم المناسبة أترابه من العلماء فانبروا للرد عليه، وفي هذا الشأن أورد السيوطي والزركشي كلاما لولي الدين الملوي يناقش فيه طرح العز بن عبد السلام جاء فيه: «وقد وهم من قال: لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع مفرقة. وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا و على حسب الحكمة ترتيبا و تأصيلا فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ ، مرتبة سوره ة آياته بالتوقيف

[1] ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القران، ج1، ص132-133/ والسيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج4، ص 1838.
[2] المرجع نفسه، ج1، ص133.

كما أنزل جملة إلى بيت العزة ومن المعجز البين أسلوبه و نظمه الباهر فالذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول شيء عن كونها مكملة لما قبلها أم مستقلة ، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ؟ ففي ذلك علم جم و هكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له»[1].

5- أهمية المناسبة في الخطاب القرآني:

المناسبة نوعان : لفظية ومعنوية ، وكلاهما يحظى بأهمية كبرى في الخطاب القرآني، فهي الفيصل في الإجادة في النصوص؛ ذلك أنها إذا ما فككت صارت جملا و الجمل تصير كلمات و الكلمات حروف فهي إذن مركبة من حروف وهاته الحروف أعطت الكلمات و الكلمات جملا و هكذا ... ورصُّ الحروف لبعضها يحتاج مهارة و حذقا، فآية حسن النص واتصافه بالبديعية أو البيان مشترط بصاحب النص إذ النص بمثابة البناء، والمؤلف هو البنَّاء، والحروف والكلمات هي أدواته وسائله،والأساليب فنونه و إبداعه. يقول الزركشي عن فائدة علم المناسبة : « وفائدته – يعني المناسبة – جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط و يصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء»[2]. أما البقاعي فيقول عن المناسبة: « علم تعرف عنه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه الحال وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، و يفيد ذلك المقصود من جميع جملها فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة ، وكانت نسبته من علم التفسير كنسبة علم البيان من علم النحو»[3]. ويقول الإمام فخر الدين الرازي: «ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيباتها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب ألفاظه وشرف معانيه فهو أيضا معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا إنه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك ، إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير متنبهين لهذه الأمور و ليس الأمر في هذا الباب إلا كما قيل: والنجم تستصغر الأبصار صورته و الذنب للطرف لا للنجم في الصغر

[1] المرجع السابق،ج1، ص 133.

[2] المرجع نفسه، ج1، ص131.

[3] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، ج 1، ص 6.

[البسيط] »[1]. ويقول البقاعي: «وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب و يتمكن من اللب و ذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين :أخدهما نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب و الثاني نظمها مع أختها بحسب الترتيب »[2]. يتجلى لنا من هذه الأقول فضائل هذا العلم، ويمكن أن نلخصها في النقاط الآتية:

– إبراز الجانب الاعجازي في القران الكريم و أنه معجزة الله الخالدة التي تحدى بها أرباب الفصاحة و البيان آنذاك.
– أنه آية من الله للمصطفى ﷺ و أنه ليس كلام بشر ولا سحر ولا شعر.
– إيراد المناسبات وسيلة للفهم و لربط أجزاء الكلام بعضه ببعض .
– دفع ما يتوهم أنه تكرار في القرآن الكريم لبعض القص و الوقائع .
– إحكام المتأمل والناظر في هذا العلم حفظه القرآن الكريم و ضبط متشابهه .

[1] فخر الدين الرازي، تفسير الرازي ج 7، ص 139 .
[2] البقاعي، نظم الدرر، ج1، ص11 .

الفصل الأول:

المناسبة بين الآيات والسور في الدراسات القرآنية

1- المناسبة بين الآيات في الدراسات القرآنية:

قبل الحديث عن المناسبة بين الآيات في الخطاب القرآني، وأنواعها وأدوات تحققها فيه، لا بد من تعريف مصطلح الآية أولا

1- 1- الآية (الآيات) لغة واصطلاحا:

تعريف الآيات لغة :جمع آية وجمع الجمع آياء .وتذكر لها في المعاجم عدة معان أولها ما جاء في معجم لسان العرب: « و الآية العلامة ، وزنها فَعَلَة في قول الخليل و الجمع آيات و آي قال: لم يبق الدهر عن آياته غير أثافيه و أرمداته»[1]. وقال ابن عطية: «و أما الآية فهي العلامة في كلام العرب. قال تعالى ﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ **ءَايَةَ** مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَبَقِيَّةٞ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ **لَأٓيَةً** لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾» [البقرة – 248]

وترد الآية بمعنى العبرة كما في قوله تعالى: ﴿قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾[آل عمران – 13] أي عبرة وجمعها آيات قال تعالى:﴿ لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ٧﴾[يوسف 7] أي أمور وعبر.

الآية اصطلاحا :

يقول الطاهر بن عاشور:«مقدار من القرآن مركب ، تقديرا أو إلحاقا»[2] أما الدكتور رابح كيحل بعد تقديم عدة تعاريف يوجز لنا ما يلي : « و بيان القول أن يقال في تعريف الآيات: هي مقاطع قرآنية مندرجة في سورة ، بيّن العلماء رؤوسها »[3]. فقول الطاهر بن عاشور تقديرا أو إلحاقا أراد به بعض الآيات التي ظاهرها أنها كلمة واحدة لكنها في التقدير جملة استتر بعض لفظها فيقدر مثل قوله تعالى : ﴿مُدۡهَآمَّتَانِ﴾[الرحمن – 64] فالتقدير هنا أي: هما مدهامتان، خبر لمبتدأ محذوف. وأما إلحاقا فأراد به بعض الحروف

[1] ابن منظور ، لسان العرب ،ج 01 ، مادة "أيا "، ص 185

[2] الطاهر بن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج1، ص74

[3] هارون كيحل ، منار الجدد في علم العدد ، دار الشافعي للنشر، قسنطينة ، ط1، 2019 ، ص 9.

المقطعة التي عدها علماء العدد آيات مثل : ﴿الٓمٓ﴾[البقرة و آل عمران –1] و ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم – 1].

1 – 2– أدوات تحقق المناسبة بين الآيات في الدراسات القرآنية:

نزل القرآن الكريم منجما في نيف وعشرين سنة قال تعالى:﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾ [الإسراء – 106]. ومسألة كيفية تنزل الآيات؛ هل نزلت جملة واحدة إلى السماء الدنيا ثم أنزلت منجمة إلى الأرض حسب الوقائع و الحوادث، أم أنه نزل من عند الله إلى جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ منجما كذلك لقوله تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ ﴾[البقرة – 185] وقوله تعالى ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر – 01]. والتساؤل عن تلقي جبريل القرآن الكريم عن رب العزة كاملا أم منجما تترتب عنها أسئلة أخرى؛ من قبيل هل أن توالي الآيات ومواضعها هو أمر توقيفي أم أنه أمر اجتهادي؟

لا يختلف العلماء في ترتيب الآيات في القرآن، وهم متفقون بالإجماع على ذلك، حيث يقول السيوطي : « الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك ... »[1]. ويقول الزركشي أيضا: « فأما الآيات في كل سورة و وضع البسملة أوائلها فترتيب توقيفي بلا شك و بلا خلاف»[2]. و قد روى الإجماع أيضا ابن الزبير الغرناطي في البرهان في قوله: « إن ترتيب الآيات في سورها وقع بتوقيفه النبي ﷺ و أمر من غير خلاف في هذا بين المسلمين»[3]. وعليه يمكن أن نقول: إنه مادام الإجماع على ترتيب الآيات في القرآن الكريم قائم فلا بد أن يترتب عنه قيام ووقوع المناسبة أيضا.

1-2 –1– أدوات تحقق المناسبة بين الآيات عند السيوطي:

ينطلق السيوطي في تحديده لأدوات تحقق المناسبة القرآنية من الروابط أو العلائق التي تحكم الآيات، إذ يستدل على ذلك بكلام لولي الدين الملوي جاء فيه: « والذي ينبغي في

[1] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج 1، ص 394

[2] الزركشي، البرهان في علوم القران ، ج 1 ، ص 394 .

[3] أحمد بن الزبير الغرناطي، البرهان في ترتيب سور القرآن، تح: محمد شعباني ، وزارة الأوقاف المملكة المغربية، الرباط 1990 ص .

كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة ، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها، ففي ذلك علم جم ، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له»[1].

ويقسم السيوطي المناسبة بين الآيات إلى نوعين: إحداهما تتضح وتظهر فيها الروابط والعلائق بين الآيات وأخرى عكس ذلك، حيث يقول: «ذكر الآية بعد الأخرى إما أن يكون ظاهر الارتباط بتعلق الكلام بعضه ببعض وعدم تمامه بالأولى فواضح. وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على وجه التأكيد أو التفسير أو الاعتراض أو البدل و هذا القسم لا كلام فيه. و إما ألا يظهر الارتباط بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى و أنها خلاف النوع المبدوء به. فإما أن تكون معطوفة على الأولى بحرف من حروف العطف المشركة في الحكم أو لا ؟ فإن كانت معطوفة فلا بد أن يكون بينهما جهة جامعة على ما سبق تقسيمه كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَا﴾ [الحديد– 04]. وقوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [البقرة – 245] للتضاد بين القبض و البسط و الولولج و الخروج و شبه التضاد بين السماء والأرض. ومما فيه مثل ذا ذكر آي الرحمة بعد آية العذاب و ذكر الترغيب بعد الترهيب كقوله تعالى ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾[الحجر– 49 و50] فإن لم تكن معطوفة فلا بد من دعامة تؤذن باتصال الكلام وهي قرائن معنوية تؤذن بالربط وله أسباب...»[2]

يظهر من كلام السيوطي السابق أن أدوات تحقق المناسبة نوعان: قرائن لفظية، وذلك عندما تكون_الآيات مرتبط بعضها ببعض ارتباطا ظاهرا، ولا تتم الأولى إلا بالتي قبلها التي هي تمام معناها. وهذا النوع يظهر للعام والخاص و ليس لإعمال الفكر و إمعان النظر من حظ فيه، بل هو سهل متجل بائن بيون الشمس للعيان. وقرائن معنوية وذلك عندما تكون الآيات مستقلة، و هذا الاستقلال والفرق بادي الرأي فقط فلا بد أن هناك مناسبات و اتصالات و إن كانت تبدو مستقلة ، فإما أن تكون هناك روابط ظاهرة كحروف العطف المشركة في الحكم ومثل لها كما ذكرنا. و إما أن تكون مستقلة بعضها عن بعض

[1] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج5 ، ص1839/ وينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 1 ، ص 133

[2] المرجع نفسه، ج5، ص1840

ولا يوجد روابط ظاهرة ولا حروف عطف، فالقرائن هنا معنوية يقول السيوطي : « فإن لم تكن معطوفة فلا بد من دعامة تؤذن باتصال الكلام وهي قرائن معنوية تؤذن بالربط وله أسباب : »[1]. ومن أسباب القرائن المعنوية التي تحكم المناسبة بين الآيات ذكر السيوطي ما يلي: التنظير، والمضادة، وحسن التخلص، والاستطراد، والانتقال إلى حديث آخر.

– **التنظير:** يقول السيوطي « فإن إلحاق النظير بالنظير من شأن العقلاء ». ويقول بدوي طبانة في معجم البلاغة : «التنظير: أو أن ينظر الإنسان بين كلامين إما متفقين في المعاني و إما مختلفين فيها »[2]. ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ١ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ٤ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ﴾[الأنفال 01 – 06]. وحاصل المناسبة بين الآية الأولى و الآية الخامسة و السادسة ، أن النبي صلى اله عليه وسلم لما قسم الغنائم و أجزل عطاء المؤلفة قلوبهم قد كره بعض الصحابة قسمته فلم يرتضوها، فأوحى الله إلى نبيه ﷺ أن الغنائم لله و رسوله و أما الآية الخامسة والسادسة فكما أن الله أمرهم بالخروج للقتال فكره البعض الخروج كراهية الموت ، لكنهم خرجوا و منّ الله عليهم بالنصر، ففي عدم ارتضائهم قسمة النبي كراهة، و في عدم رغبتهم الخروج للقتال كراهة كذلك ، فخروجهم للقتال بكراهية قد أعقبه فوز و ظفر و غنيمة و عزة للإسلام، و كذلك قبولهم قسمة النبي ﷺ سيعقبها خير فامتثلوا لأمر الله و أمر نبيه و لا تتبعوا هوى أنفسكم .

– **المضادة:** أو ما اصطلح عليها البلاغيون بالمقابلة ورد في معجم البلاغة العربية: « وأكثر ما تجيء المقابلة في الأضداد فإذا جاوز الطباق ضدين كان مقابلة »[3]و مثل لها الزركشي و السيوطي بفواتح سورة البقرة ﴿الٓمٓ١ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ٢ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ٣وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ٥ إِنَّ

[1] المرجع السابق ص 1841 .

[2] بدوي طبانة ، معجم البلاغة العربية، دار المنارة و دار الرفاعي ، الرياض، ط3، 1988، ص 667

[3] المرجع نفسه، ص 1848

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[البقرة – 01 – 07] فها هنا ابتدأ الكلام عن صفات المتقين و بيان أحوالهم، ثم لما انتهى من سرد صفاتهم انتقل للإخبار عن الكافرين و بيان أحوالهم، فبينهما جامع هو التضاد .

– **الاستطراد:** في اللغة مصدر استطرد الفارس عن فرسه في الحرب، و ذلك أن يفر من بين يدي عدوه يوهمه الفرار والانهزام ثم يعطف عليه على حين غرة منه. قال ابن الرشيق «الاستطراد أن يرى الشاعر انه في وصف شيء و هو إنما يريد غيره فإن قطع أو رجع إلى ما كان عليه كان استطرادا، و إن تمادى كان ذلك خروجا»[1] ومثلوا له بقوله تعالى : ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾[الأعراف – 26] . قال الزمخشري: «وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد، عقب ذكر السوءات و خصف الورق عليها، إظهار للمنة فيما خلق من اللباس، و لما في العري و كشف العورة من المهانة و الفضيحة وإشعارا بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى.»[2]

– **حسن التخلص:** التخلص عند علماء البلاغة أن يسرد الناظم أو الناثر كلاهما في مقصد من المقاصد، غير قاصد إليه بانفراد ، ولكنه سبب إليه ثم يخرج فيه إلى كلام هو المقصود ،بينه و بين الأول علة مناسبة بحيث يكون الكلام آخذا بعضه برقاب بعض كأنه أفرغ في قالب واحد[3]. يقول السيوطي: « ويقرب من الاستطراد حسن التخلص وهو أن ينتقل من ابتدئ به الكلام إلى المقصود على وجه يختلسه اختلاسا دقيق المعنى، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع عليه الثاني لشدة الالتئام بينهما»[4].ومثل له الزركشي بقوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾[النور - 35]. قال الزركشي: « فإن فيه خمس

[1] بدوي طبانة ، معجم البلاغة العربية ، 667.

[2] جار الله أبو القاسم محمود الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،ح1، دار ابن حزم ، بيروت، ط1، 2012، ص.412

[3] بدوي طبانة ، معجم البلاغة ، 202

[4]السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج4، 1843

تخلصات، وذلك أنه جاء بصفة النور وتمثيله، ثم تخلص منه إلى ذكر الزجاجة وصفاتها ثم رجع إلى ذكر النور والزيت، يستمد منه، ثم تخلص منه إلى ذكر الشجرة ، ثم تخلص من ذكرها إلى صفة الزيت، ثم تخلص من صفة الزيت إلى صفة النور وتضاعفه، ثم تخلص منه إلى نعم الله بالهدى على من يشاء»[1]

1 -2 - 2 - أدوات تحقق المناسبة عند البقاعي:

أورد البقاعي في مقدمة تفسير سورة الفاتحة كلاما يرويه عن شيخه بيانا موجزا لمنهجه في الكشف عن المناسبة في القرآن الكريم وأدوات تحققها جاء فيه: «قال شيخنا المحقق أبو الفضل محمد بن العلامة القدوة أبو القاسم محمد المشدالي المغربي البجائي المالكي، علامة الزمان، سقى الله عهده سحائب الرضوان، و أسكنه أعلى الجنان: الأمر الكلي لمعرفة مناسبات الآيات في جميع القرآن أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة ، و تنظر ما يحتاجه إليه ذلك الغرض الذي سيقت له السورة ، وتنظر ما يحتاج ذلك الغرض من المقدمات وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب و البعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام و اللوازم التابعة له، التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل، بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها. فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين كل آية و آية في كل سورة و سورة»[2]

والمتأمل لهذا الكلام سيجد أن المناسبة بين الآيات في القرآن الكريم تتحقق بأربعة أشياء هي[3]:

أولا : النظر في الغرض الذي سيقت له السورة ومحاولة استكشافه وتحديده ، و ليس هذا بالأمر الهين ، لأنه يحتاج إلى نظر عميق ، وذهن ثاقب ، وحس مرهف في تفتيش تراكيب

[1] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 139

[2] البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج 1 ص 18 .

[3] ينظر: مشهور موسى مشهور مشاهرة ، التناسب القرآني عند الامام البقاعي – دراسة بلاغية (رسالة ماجستير)، جامعة الأردن 2001، ص 66.

الصورة وصورها وكل معنى فيها ، و علاقة ذلك بما قبل وما بعد حتى يصل الباحث بعدها إلى غرض الصورة وهدفها

ثانيا: النظر فيما يحتاج إليه ذلك الغرض ، أو الهدف من المقدمات بمعنى أن يتعرف الباحث على منازل المعاني و مراتبها في ضوء المعرفة الواضحة للغرض الذي انعقد عليه الكلام. وبهذا يقف الباحث على المعاني الرئيسية و المعاني الثانوية ، الأمر الذي يقوده إلى جماع ذلك وهو : المقاصد الكلية و مقدماتها .

ثالثا: النظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب أ اي النظر إلى العلاقة بين المقدمة وبين الغرض أو المقصود ، هذا و لا بد أن تكون المقدمات موشاة بتوشية ما تشير إلى المطلوب ، فمقدمة الرحمة غير مقدمة العذاب ، ومقدمة المدح و الاطراء غير مقدمة اللوم و العتاب وهكذا ... الخ لأن لكل باب مما ذكرت مداخله التي هي أشبه به، و التي تميزه عن غيره .

رابعا: النظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبع ذلك من استشراف نفس السامع أي ما تثيره اللغة – بحركة الكلام و ضروبه – من أحاسيس وهواجس و أجشان ، تناغي به البنية الداخلية للنفس ، فتجعلها في حالة من السعادة و الشوق وكل ذلك وهي في طريقها نحو الغرض المقصود .

1 – 3 – أنواع المناسبة بين الآيات في الدراسات القرآنية:

لقد تنبه المفسرون و الباحثون في البلاغة و إعجاز القرآن إلى ألوان و درجات من التناسب بين الآيات تبلغ الذروة في تصوير القرآن و إعجازه، لذلك اهتموا بإحصائها وفرز صورها، وقد توصلوا من جراء عملهم ذاك إلى الأنواع الآتية[1]:

- التناسب بين الآية و ما قبلها مباشرة.
- التناسب بين الآية وما قبلها عموما .
- التناسب بين الآية وما قبلها وما بعدها في نفس الموضوع .
- التناسب بين الآية و أول السورة .

[1] ينظر ، التناسب القرآني عند البقاعي ، رسالة ماجستير، موسى مشهور ، 2001 ص 95– 98

- التنسب بين جزء الآية و صدرها .
- التناسب بين ختام الآية و صدرها .
- التناسب بين صدر الآية و خاتمة التي قبلها مباشرة.
- التناسب بين ختام الآية و التي قبلها مباشرة .
- التناسب بين صدر الآية وما قبلها من الآيات عموما .
- التناسب بين جزء الآية وما قبلها من الآيات عموما .
- التناسب بين ختام الآية و ما قبلها من الآيات عموما.
- التناسب بين ختام الآية وبين ما قبلها وما بعدها .

وورغم تباين هذه الأنواع إلا أنه يمكن إرجاعها إلى نوعين رئيسيين هما : مناسبات داخل الآية الواحدة، ومناسبات خارجة الآية تصل الآية بآية أخرى. لذلك سنركز على ثلاثة أنواع تؤول وتمثل هذين النوعين الرئيسيين، وهي المناسبة بين الآية وما قبلها مباشرة والمناسبة بين ختام الآية و صدرها و المناسبة بين فاتحة السورة و خاتمتها.

1 -3 -1 - المناسبة بين الآية و ما قبلها :

ظهر هذا النوع جليا عند المفسرين المنشغلين بالمناسبة خاصة عند البقاعي فقد كان يورد الآية تلو الأخرى يحاول ربطها بما سبقها وأردنا التمثيل لهذا النوع باختيار آية الصيام و التطبيق عليها من خلال ما أورده علماء المناسبة. اخترنا نموذجا للدكتور فاضل صالح السامرائي من كتابه قبسات من البيان القرآني حيث يرى يقول فاضل السامرائي أن قول الله عز و جل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ١٨٤ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ١٨٥ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ﴾[البقرة 183-186] وقعت هاته الآيات آيات الصيام بين آيات الشدة و ذكر الصبر وما يقتضي الصبر فقد أتى قبلها قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ﴾[البقرة -177] بالقطع، والصوم نصف الصبر، والصبر نصف الإيمان. و

تقدمها أيضا قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ﴾ وقوله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة – 180] وجاء بعدها آيات القتال و هي قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ﴾ ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ﴾ [البقرة– 190 –193] ذلك أن كلا من الصوم والقتال من المشاق ، و أن كلاّ منهما يقتضي الصبر ثم ذكر بعدها آيات الحج "، لأن الحج بعد الصيام ، ويكون بعد شهر رمضان. قال الله تعالى : ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ﴾ وقال أيضا: (ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ ١٩٧﴾ [البقرة – 196 و197] و ذكر المرض في الحج ، كما ذكر المريض في الصيام وذكر فديته ، ومن الفدية فيه الصيام، فقال : ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ﴾ [البقرة 196].[1]

وجاء في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي أن في قوله تعالى: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾[البقرة - 183] «مناسبة بين هذه الآية لما قبلها أنه أخبر تعالى أولا بكتب القصاص، وهو إتلاف النفوس، وهو من أشق التكاليف فيجب على القاتل إسلام نفسه للقتل، ثم أخبر ثانيا بكتب الوصية، وهو إخراج المال الذي هو عديل الروح ثم انتقل ثالثا إلى كتب الصيام، وهو منهك للأبدان ، مضعف له ، مانع و قاطع ما ألفه الإنسان من الغذاء بالنهار فابتدأ بالأشق ، ثم الأشق بعده، ثم بالشاق ، فهذا انتقال فيما كتبه الله على عباده في هذه الآية. وكان فيما قبل ذلك قد ذكر أركان الإسلام ثلاثة : الإيمان و الصلاة و الزكاة ، فأتى بهذا الركن الرابع وهو الصوم»[2]

1 – 3 – 2– المناسبة بين صدر الآية و ختامها :

تعرض البقاعي لهذا النوع من المناسبة، ومثل له بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة – 158] يقول البقاع: «لما كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم لم

[1] فاضل صلاح السامرائي ، قبسات من البيان القرآن، دار ابن كثير، دمشق، ط2، 2015 ، ص 8.

[2] محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج2، تح: عادل أحمد عبد الموجود و آخرون، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، (د ت) ، ص 35 .

يقصدوا بترك الطواف بينهما إلا الطاعة فأعلموا أن الطواف بينهما طاعة، ولذلك عبر بما يفيد مدحهم ، فقال تعالى : (وَمَن تَطَوَّعَ) »[1]. و يقول الدكتور موسى مشهور في تعليقه على المناسبة في هذه الآية: «إن التناسب في هذا المقام هو على أساس المدح و الفضل كذلك في أمر دار خلاف طويل حوله ، يشير إلى ذلك حديث عروة مع أم المومنين عائشة حين قال لها: ما أرى على أحد شيئا ألا يطوف بهما، فقالت: لو كان كما تقول ، كان فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما»[2].

ومن المواضع التي ورد فيها هذا النوع من المناسبة قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾[آل عمران – 91]. ذكر البقاعي أن السامع لما تشوف إلى معرفة مصير الذين كفروا وماتوا على كفرهم وما يحل بهم أجيب بقوله تعالى : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَالَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ) وبهذا يكون ختامها قد ارتبط برابط مع حسن أولها[3]. فالله عز و جل بدأ الآية بإخبار فقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّار) و هذا الإخبارمشوق يتشوف السامع من خلاله لأن يسأل سؤالا مفاده: ما مصيرهم يارب؟ فيأتي الجواب أنهم لن يقبل منهم ملء الأرض ذهبا لو أتوا به لفداء نفوسهم من العذاب الواقع بهم و طالما أن الفداء قد رفض رفضا قاطعا – عن طريق لن و الفعل المضارع الذي يفيد التجدد و الاستمرار فقوله تعالى: ﴿فَلَن يُقۡبَلَ﴾ تأبيد النفي و استمراره وتجدده – فإن مصيرهم المحتوم هو العذاب الأليم.

1 – 3 – 3 – المناسبة بين فاتحة السورة و خاتمتها :

من الراسخ في الذهن أن فواتح السور القرآنية تحمل براعة استهلال معجزة، فهي أول شيء يقع على السمع، ومن ثم فخاتمة السور كذلك لا تقل عنها إعجازا، إذ هي آخر ما يسمعه السامع من السورة ، وقد ذكر السيوطي أن الخواتم تأتي متضمنة المعاني البديعية مع إيذان السامع بانتهاء الكلام حتى لا يبق معه للنفوس تشوف إلى نقص يريد تماما.[4]

[1] البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج2، ص

[2] موسى مشهور، التناسب القرآني عند البقاعي ، ص 95

[3] البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج4، ص478

[4] ينظر: السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن، ج، ص 1838 .

ومن أمثلة هذا النوع من المناسبة قوله تعالى في ختام سورة الأنعام : ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ١٦٤ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[الأنعام 164-165] . ذكر البقاعي أن ختام سورة الأنعام جاء في غاية التناسب مع أولها فالاستفهام في الآية الخاتمة للسورة تعجبي استنكاري ، يستنكر ممن يتخذ ربا غير الله، مع كونه قد خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور وهذان صنيعان يستوجبان الشكر الدائم لا العصيان، فقد قال في مطلع السورة:﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾[الأنعام 01]. يقول البقاعي : «يسرع العالي إلى عقوبة السافل ؟ فأجيب بأن الله فوق الكل، وهو أسرع عقوبة، فهو قادر على أن يسلط الوضيع أو أحقر منه على الرفيع فيهلكه، ثم رغب بعد هذا الترهيب في العفو بأنه على غناه عن الكل، أسبل ذيل غفرانه و رحمته بإمهاله العصاة و قبوله اليسير من الطاعات بأنه خلق السماوات و الأرض وجعل الظلمات و النور منافع لهم، ثم هم به يعدلون. ولولا غفرانه و رحمته، لأسرع عقابه لمن عدل به غيره فأسقط عليهم السماوات و خسف بهم الأرض التي أنعم عليهم بالخلافة فيها، و أذهب عنهم النور وأدام الظلام، فقد ختم السورة بما به ابتدأها، فإن قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ) هو المراد بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ﴾[الأنعام – 2] و قوله: ﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ﴾ هو معنى قوله: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾»[1]

ومن صور هذا النوع من المناسبة قوله تعالى في ختام سورة الروم : ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾[الروم - 60] فالله سبحانه وتعالى يأمر النبي ﷺ بالصبر، ويذكر أن وعد الله حق وهو واقع لا محالة ويذرهم من فتنة هؤلاء المنافقين والكافرين، وذلك بحملهم النبي على الخفة و القلق جزعا مما يقولون، فهؤلاء قوم ليس لديهم يقين منافقون، فهم شاكون بطبعهم، يزلزلهم أي شيء ويكذبون نصر الله لأوليائه المؤمنين، ودليل ذلك تكذيبهم وعد الله للمؤمنين، بنصر الروم وهزيمة الفرس فتراهم على أنهم بينة وثقة من أمرهم – وهو أن نصر الروم لن يحدث – وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى طمس الله على قلوبهم و إغلاقها عن الحق وبهذا يكون قد عطف آخر

[1] البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج 07، ص 346

الآية على أولها ﴿الٓمٓ١غُلِبَتِ ٱلرُّومُ٢فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ٣فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾[الروم 1-4]. فالله بعد أن ذكر هزيمة الروم وعد المؤمنين بنصرهم على الفرس في بضع سنين، وأن الأمر كله بيد الله عز و جل، وفي آخر السورة أمر الله نبيه بالصبر و أكد وعده له بالنصر ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَايُوقِنُونَ) فالأمر بالصبر يكون على نبأ هزيمة الروم، واستهزاء الكفار والمنافقين بتأخر النصر وذلك جاء في آخر السورة، وتأكيد الوعد بنصر الروم وهزيمة الفرس، يكون متصلا بإخبار الله النبي بنصر الروم و هزيمة الفرس في أول السورة ﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾[الروم – 3]وكما قال البقاعي: «عطف الحبيب على الحبيب واتصل به اتصال القريب بالقريب ، والتحم التحام النسيب بالنسيب»[1]

[1]المرجع السابق ، الجزء 15، ص 139

2- المناسبة بين السور في الدراسات القرآنية:

قبل الولوج لباب المناسبة بين السور و كينونة هذا النوع من علوم المناسبة من عدمه ، لا بد من التعريج على مصطلح السورة لغة و حدهاعند علماء القرآن الكريم.

2 - 1 - تعريف السورة لغة واصطلاحا:

تعريفة " السورة " لغة: إذا نظر الباحث في المعاجم عن مادة " سور " فإنه يجد الآتي :

«السُور: حائط المدينة، وجمعه أَسْوارٌ وسيرانٌ. والسُوَرُ أيضاً: جمع سورة، مثل بُسرة وبسرٍ، وهى كل منزلة من البِناء. ومنه سورَةُ القرآن، لأنَّها منزلةٌ بعد منزلةٍ مقطوعةٍ عن الأخرى. والجمع سُوَرٌ بفتح الواو. قال الشاعرالراعي:

هُنَّ الحرائِرُ لَا رَبَّاتُ أَخْمِرَةٍ ... سُودُ المحَاجِرِ لَا يَقْرَأْنَ بالسُّوَرِ[البسيط]

ويجوز أن تجمع على سُوراتٍ وسوَرَاتٍ. وقول النابغة:

أَلَمْ تَرَ أنَّ اللهَ أَعْطاكَ سُورَةً * تَرى كُلَّ مَلْكٍ دُونَها يتذبذب[الطويل]

أي يريد شرفا ومنزلة.»[1]

والناظر في لسان العرب لمادة : "سور" يجد مقالا طويلا ، أخذنا منه ما يلي: «...والسُّور عِنْدَ الْعَرَبِ حَائِطُ الْمَدِينَةِ، وَهُوَ أَشرف الْحِيطَانِ، وَشَبَّهَ اللَّهُ تَعَالَى الْحَائِطَ الَّذِي حَجَزَ بَيْنَ أَهل النَّارِ وأَهل الْجَنَّةِ بأَشرف

[1] إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور، ، دار العلم للملايين، بيروت ط3،1979م، مادة (سور)، ص690.

حَـائِطٍ عَرَفْنَـاهُ فِـي الـدُّنْيَا، وَهُـوَ اسْـمٌ وَاحِـدٌ لِشَـيْءٍ وَاحِـدٍ، إِلا إِنـا إِذا أَردنـا أَن نعـرِّف العِـرْقَ مِنْـهُ قُلْنَـا سُـورَةٌ كَمَـا نَقُـولُ التَّمْـرُ، وَهُـوَ اسْـمٌ جَـامِعٌ لِلْجِـنْسِ، فـإِذا أَردنـا مَعْرِفَـةَ الْوَاحِـدَةِ مِـنَ التَّمْـرِ قُلْنَـا تَمْـرَةٌ، وكـلُّ مَنْزِلَـةٍ رَفِيعَـةٍ فَهِـيَ سُـورَةٌ مأْخوذة مِنْ سُورَةِ الْبِنَاءِ؛ وأَنشد لِلنَّابِغَةِ:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعطاكَ سُورَةً، ... تَرَى كُلَّ مَلْكٍ دُونَهَا يَتَذَبْذَبُ؟

مَعْنَـاهُ: أَعطـاك رِفْعَـةً وَشَـرَفًا وَمَنْزِلَـةً، وَجَمْعُهَـا سُـوْرٌ أَي رِفَـعٌ. قَـالَ: وأَمـا سُـورَةُ الْقُـرْآنِ فـإِنَّ اللَّه، جَـلَّ ثَنَـاؤُهُ، جَعَلَهَـا سُـوَراً مِثْـلَ غُرْفَـةٍ وغُـرَفٍ ورُتْبَـةٍ ورُتَـبٍ وزُلْفَـةٍ وزُلَـفٍ، فَـدَلَّ عَلَـى أَنـه لَـمْ يَجْعَلْهَـا مِـنْ سُـور الْبِنَـاءِ لأَنهـا لَـوْ كَانَـتْ مِـنْ سُـور الْبِنَـاءِ لَقَـالَ: فـأْتُوا بِعَشْـرِ سُـوْرٍ مِثْلِـهِ، وَلَـمْ يَقُـلْ: بِعَشْـرِ سُـوَرٍ، وَالْقُـرَّاءُ مُجْتَمِعُـونَ عَلَـى سُـوَرٍ، وَكَـذَلِكَ اجْتَمَعُـوا عَلَـى قِـرَاءَةِ سُـوْرٍ فِـي قَوْلِـهِ: فَضُـرِبَ بَيْـنَهُمْ بِسُـورٍ، وَلَـمْ يقـرأْ أَحـد: بِسُـوَرٍ، فَـدَلَّ ذَلِـكَ عَلَـى تَمَيُّـزِ سُـورَةٍ مِـنْ سُـوَرِ الْقُـرْآنِ عَـنْ سُـورَةٍ مِنْ سُوْرِ الْبِنَاءِ...»[1]

فـالاختلاف والتضـارب بـين اللغـويين ظـاهر بـائن، ومرجعـه هـو لأصـل اللفظـة هـل تهمـز أم لا ، و تـداخلات صـرفية واسـتعمالات لغويـة سـابقة ولـم نقـف علـى قـول راجـح يفصـل المسـألة، حتـى عنـد المعاصـرين أمثـال الطـاهر بـن عاشـور أو عنـد السـابقين كجـلال الـدين السـيوطي، بـل وجدناهم يوردون الاقوال ولم يرجحوا. فآثرنا السكوت وعدم الميل لقول.

وَفَائِـدَةُ التَّسْـوِيرِ مَـا قَالَـهُ صَـاحِبُ الْكَشَّـافِ فِـي تَفْسِـيرِ قَوْلِـهِ تَعَـالَى: (فَـأْتُوا بِسُـورَةٍ مِـنْ مِثْلِـهِ) [الْبَقَـرَة – ٢٣] «إِنَّ الْجِـنْسَ إِذَا انْطَـوَتْ تَحْتَـهُ أَنْـوَاعٌ كَـانَ أَحْسَـنَ وَأَنْبَـلَ مِـنْ أَنْ يَكُـونَ بَبَّانًـا وَاحِـدًا، وَأَنَّ الْقَـارِئَ إِذَا خَـتَمَ سُـورَةً أَوْ

[1] جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، مادة (سور)، ص2147.

بَابًا مِنَ الْكِتَابِ ثُمَّ أَخَذَ فِي آخَرَ كَانَ أَنْشَطَ لَهُ وَأَهَزَّ لِعِطْفِهِ كَالْمُسَافِرِ إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ قَطَعَ مِيلًا أَوْ طَوَى فَرْسَخًا»[1].

تعريف السورة اصطلاحا :

يقول طاهر بن عاشور: «السورة قطعة من القرآن معينة بمبدأ ونهاية لا يتغيران، مسماة باسم مخصوص، تشتمل على ثلاث آيات فأكثر في غرض تام ترتكز عليه معاني آيات تلك السورة، ناشئ عن أسباب النزول، أو عن مقتضيات ما تشتمل عليه من المعاني المناسبة»[2]. وقولهم قطعة هنا يتقاطع المعنى اللغوي السالف والمعنى الاصطلاحي الذي نستنتج من خلاله أن السورة هي جزء أو قطعة من القرآن الكريم وقولهم معينة ببداية ونهاية أن السور القرآنية لها بداية، أي: فواتح و خواتم، تبتدأ بها و تختم. وقوله أقلها ثلاث آيات أراد بها أقصر سورة في القرآن الكريم، وهي سورة الكوثر التي هي من ثلاث آيات فقط.

2 – 2 – المناسبة بين السور في الدراسات القرآنية (أنواعها وأدوات تحققها) :

اختلف أهل العلم والنظر في المناسبة بين السور كائنة أم ليست بكائنة، و مرجع الخلاف هو اختلافهم في ترتيب السور هل هو توقيفي من النبي صلى الله عليه و سلم أم هو اجتهادي من الصحابة؟ فإذا كان الترتيب توقيفيا فالمناسبة قرآنية وهي قائمة يبحث عنها و يتحرى و أما إذا كان الترتيب اجتهاديا ، هل تقع المناسبة أم لا ؟ و ما معيار الصحابة في اختيار ترتيب السو، وهل للغتهم و سليقتهم و علمهم معاني و أسرار القرآن الكريم أثر في المناسبة إن بدت ؟ نحاول الإجابة على هاته التساؤلات قدر و سعنا و علمنا وعليه :

[1] الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج1، ص59

[2] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص 84

أولا : إن ترتيب القرآن أمر مجمع عليه بين المسلمين بلغ حد التواتر ، فأسانيدينا إلى شيوخنا القراء الذين نتلقى عنهم القراءة اتفقت على تسلسل واحد و ترتيب للسور مفتتحه سورة الفاتحة و مختتمه سورة الناس كما هو عليه المصحف الامام و الترتيب ذا مرتضى متفق عليه مجمع عليه بين الناس فلا نعلم له معارضا

ينقل السيوطي : في كتابه تناسق الدرر في تناسب السور : (و الحاصل أني أقول : ترتيب كل المصاحف ، بتوقيف و استقر التوقيف في العرضة الاخيرة على القراءات العثمانية)[1]

وقد ألف في هذا الصدد السيوطي تناسق الدرر في تناسب السور و ابن الزبير الغرناطي البرهان في ترتيب سور القرآن و من المعاصرين فاضل صالح السامرائي التناسب بين السور في المفتتح و الخواتم .

تقول الباحثة إقبال نجم : (على الرغم من الاختلاف في أمر ترتيب السور في المصحف الشريف بوضعها الحالي ، فإن هناك ما يوحي بوجود تناسب و ترابط بينها يظهر أحيانا وجه التناسب و يخفى، ويدق أحيانا أخرى، فيصعب إدراكه..وليس شرطا ان ترتبط السورة بسابقتها أو لاحقتها ارتباطا لفظيا بين آياتهما ..أو بين خاتمة السورة السابقة و افتتاحية اللاحقة لها ، ومن ثم فإن هناك خيوطا دقيقة تربط بينهما)[2]

2 – 2 –1 – مناسبة خاتمة سورة لفاتحة السورة التي تليها :

يقول الدكتور مشهور موسى : (من المعلوم أن أوائل السور هو ملخص لها و دليل لمقصدها ، ثم إن ختام السورة التي قبلها دائما تكون

[1] السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، تح عبد القادر أحمد عطا ، الطبعة الاولى ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986 ، ص 61

[2] إقبال نجم، التناسب ودوره في الاعجاز القرآني (رسالة ماجستير)، جامعة الكوفة، 2009، ص 150

داعمة و كاشفة لقصد التي تليها ، إذ أن القرآن حلقة متصلة الاجزاء ، كل جزء يدفع باتجاه الذي يليه ...)[1]

ومن صور هذا النوع من المناسبة أوائل سورة الأعراف وخواتم سورة الأنعام، حيث ختم الله تعالى سورة الأنعام باتباع كتابه و التزامه إلى أن قال تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِيمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[الأنعام - 165] ثم قال في بداية سورة الأعراف : ﴿الٓمٓصٓ١كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[الاعراف – 01 و02]. يقول البقاعي: «أخذ يستدل على ما ختم به تلك من سرعة العقاب وعموم البر و الثواب وما تقدمه ، فقال مخبرا عن مبتدأ تقديره : هو" كتاب " ، أي : عظيم أوضح الطريق المستقيم ، فلم يدع بها لبسا و لم يذر خيرا إلا أمر به ، ولا شرا إلا نهى عنه ، فإنزاله من عظيم رحمته ، ثم وصفه بما أكد ما أشار إليه من رحمته بقوله : ﴿ أُنزِلَ إِلَيكَ﴾ أي: و أنت أكرم الناس نفسا و أوسعهم صدرا ، و أجملهم قلبا و أعرقهم أصالة ، و أعرفهم باستعطاف المباعد و استجلاب المنافر المباغض ، وهذا شيء قد خصك به فرفعك على جميع الخلق درجات لا تحصى ومراتب لا حد لها»[2]. ويقول الدكتور مشهور موسى: (إن الابتلاء الذي ينزله الله على عباده وما يترتب عليه من عقاب او ثواب ، لا يكون إلا بعد أن توضح التكاليف الشرعية ويبرهن عليها و يدلل , و لما كان دلك في السورة نفسها : ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ﴾[الأنعام –155] أعاد سبحانه في مطلع سورة الأعراف التأكيد و التدليل على ما ختمت به الأنعام من الامتثال و الثبات على التكاليف الشرعية التي مصدرها كتاب الله , و لذلك كان الحديث في بدء سورة الأعراف كما تقدم عن كتابه ووجوب التزامه , قال تعالى مدللا على ما تقدم : ﴿الٓمٓصٓ١كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ

[1] موسى مشهور، التناسب القرآني عند البقاعي، ص 107

[2] البقاعي، نظم الدررفي تناسب الآيات والسور، ج07 ، ص 348

لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ٣﴾) [1]

ومن صور هذا النوع من المناسبة أيضا المناسبة الوقعة بين أوائل سورة الرحمن و أواخر سورة القمر، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ٥٤فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۢ﴾[القمر – 54و55] و قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ﴾[الرحمن –01 – 07]. لقد ختم الله سورة القمر بـ ذكر ملكه العظيم و بليغ قدرته، ومن ثم فإن الملك القادر المقتدر لا يكمل ملكه إلا بذكر الرحمة ، ولا بد من عموم هذه الرحمة فلذلك أتى بعده بسورة الرحمن التي عدد فيها الرحمة ، و فرع ونوع النعم والآلاء على الخلق جميعا ، وهذا التعدد في النعم لا يكون إلا من ملك قادر رحيم ، وقد جاء ذكر النعم وما يلقاه المتقون في جنات النعيم مجملا في سورة القمر ، ومن ثم فقد اقتضى هذا الإجمال تفصيلا و استقصاء، و هو ما جاء في سورة الرحمن التي فصل الله فيها نعمه و آلاءه على عباده ، يقول تعالى : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ٥وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ٦وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ﴾

يقول البقاعي: «وفصل فيها ما أجمل في آخر القمر من مقر الأولياء و الأعداء في الآخرة، و صدرها بالاسم الدال على عموم الرحمة براعة للاستهلال و موازنة لما حصل بالملك و الاقتدار من غاية التبرك و الظهور و الهيبة»[2]

2 –2 –2 – مناسبة مضمون السورة لما قبلها :

يتحق هذا النوع من المناسبة عندما تتناسب مضاميمن السورتين (السابقة واللاحقة لها)، ومن صور ذلك مناسبة مضمون سورة الحج لمضمون سورة الانبياء : وتتأتى مناسبة مضمونهما من عدة أمور منها:

[1] موسى مشهور، التناسب القرآني عند البقاعي ، ص 110

[2] البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج 19، ص 140

– أنه في سورة الأنبياء قد أقيمت الحجج الطبيعية على الوحدانية، و في الحج قد جعل الله العلم الطبيعي من براهين و دلائل البعث والنشور وفي هذا ما فيه من التسلسل التأكيدي و الامتداد الذي يجعل المعنى متصلا .

– في سورة الأنبياء ورد ذكر قصص بعض الأنبياء ، والبراهين التي ساقوها من أجل أن يؤمن قومهم وفي سورة الحج يسترعي السمع ويوجب علينا ولو إجمالا أن نعرف صنع الله في أرضه و سمائه ، و تدبيره و خلق الأجنة و النبات و الحيوان[1] ففي الأنبياء ذكر البراهين على لسان أنبيائه ، وفي الحج زاد هذه البراهين و فصلها و ذكر نوعها وهذا يدل على تناسب مضمون السورتين.

– كذلك فإنه تعالى في سورة الأنبياء لما ذكر حال الأنبياء مع أقوامهم وما وجدوه من العنت و الإعراض منهم – (ذكر في سورة الحج حال الأشقياء والسعداء و ذكر الفزع الأكبر وهول ما يكون يوم القيامة ، وكان مشركو مكة قد أنكروا المعاد ، وكذبوه بسبب تأخر العذاب عنهم ، فنزلت هذه السورة تحذيرا لهم و تخويفا لما انطوت عليه من ذكر زلزلة الساعة و شدة هولها ،و ذكر ما أعد لمنكرها ، وتنبيههم على البعث بتطويرهم في خلقهم ، وبهمود الأرض و اهتزازها بعد بالنبات)[2]

و كأن الله في سورة الحج يبكت و يوبخ المشركين بتذكيرهم بنعمه و فضله عليهم , ردا على إنكارهم الوحدانية و شركهم , و إعراضهم عن اتباع طريق الهدى الذي دعا إليه الأنبياء جميعا في سورة الأنبياء .

ومن صور هذا النوع من المناسبة أيضا مناسبة مضمون سورة النور لمضمون سورة المؤمنون، حيث يقول سعيد حوى: «تتحدث سورة النور عن أحكام تطالب بها الأمة الإسلامية , و تتحدث عن أحكام لها صلة بالنظام الإجتماعي للأمة الإسلامية, و لذلك نجد سورة المؤمنون تتحدث عن الوحدة الإسلامية خلال العصور , قال تعالى : ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ

[1] عبد الحميد كشك، في رحاب التفسير، ج 17 ، المكتب المصري الحديث، القاهرة، (د ت)، ص 2522

[2] أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، ج6، ص 324.

أُمَّةٌ وَٰحِدَةٌ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾ [المومنون – 52]، فالسورة تتحدث عن موضوع وحدة الأمة الإسلامية، وتنكر موضوع تقطيع أمر الأنبياء والأخذ ببعضه وترك بعضه، مقدمة لسورة النور»[1]. كما أنه سبحانه لما قال في سورة المومنون :﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ﴾ [المؤمنون – 05] ذكر في سورة النور أحكاما كثيرة تدعو إلى حفظ الفروج, و تؤدي إلى سلامة المجتمع من الزنا و مظاهره, حيث تبدأ السورة بالحديث عن حد الزنا وحد القذف, و تضع عقوبات رادعة صارمة للمستهترين بحفظ فروجهم, و المتطاولين على الأعراض, و المنتهكين لطهارة المجتمع وعفته, و تحدثت السورة بعد ذلك عن آداب الاستئذان, و أحكام غض البصر, و حثت على الزواج لمن ملك الاستطاعة و القدرة على أعبائه و توجه خطابا للأولياء بتزويج الأيامى من أبنائهم و بناتهم, ثم توجه خطابا آخر لتزويج الصالحين من عبيدهم و إمائهم, وكل هذه الأحكام تدعو إلى حفظ الفروج – إما بصورة نظرية أو علمية – و تلتقي مع سورة المؤمنون في هذا الهدف السامي النبيل [2]

[1] سعيد حوى، الأساس في التفسير، ج1، دار السلام

[2] المرجع نفسه، ص

الفصل الثّاني:
المناسبة بين الآيات والسّور من منظور لسانيّات النّصّ

1 – لسانيات النص المفهوم والنشأة:

انتقلت الدراسات اللغوية عبر مراحل تطورها من دراسة اللغة في نظامها الافتراضي إلى دراستها في الاستعمال و الظهور الطبيعي لها إرسالا واستقبالا في مواقف معينة بهدف التواصل و التفاعل. و في هذه المواقف التواصلية لا يستعمل الإنسان الكلمات المفردة ولا الجمل المعزولة المنفصلة عن اللسان، بل يتواصل بواسطة النصوص بغض النظر عن طولها أو قصرها، وعن كونها مكتوبة أو منطوقة. ومن هذا المنطلق يتم التعامل مع النص. لأنه يمثل حدثا تواصليا يمارسه المنتج والمتلقي وفق مقتضيات السياق إما للفهم والإفهام أو لتحقيق مقاصد أخرى. فكان علم النص أو لسانيات النص المدخل الذي نلج منه إلى علم المنطوق والمكتوب. ومن ثم تجاوز فضاء الجملة الضيق والارتقاء إلى فضاء أرحب هو فضاء النص .

لقد أخذت لسانيا النص حيزا كبيرا في الأبحاث اللسانية الحديثة، خصوصا بعد كتاب هاريس " تحليل الخطاب" الذي أسهم بشكل مباشر في الانتقال من بنية الجملة إلى بنية أكبر منها و هي النص. وقد تعددت مفاهيم النص واتسعت بين الباحثين كل حسب منطلقه ورؤيته. فيعرفه سعيد يقطين بقوله "هو بنية دلالية تنتجها ذات فردية أو جماعية ضمن بنية نصية منتجة في إطار ببنات ثقافية واجتماعية محددة "[1]. ويعرفه **محمد عزّام** على انه: "وحدات لغوية ذات وظيفة تواصلية دلالية تحكمها مبادئ أدبية، وتنتجها ذات فردية أو

[1] سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، ط2، 2001، ص32.

جماعية "[1]. فالنص إذا بينه لسانية لغوية ذات دلالة، وذات بعد تواصلي تحقق الأدبية من خلال مجموعة من المبادئ أو المعايير كالاتساق والانسجام.

1 – 1 – مفهوم لسانيات النص:

يعرف دومينيك مانغو لسانيات النص في كتابه المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب فيقول: "يقصد به التخصص الذي موضوعه النّصية أي خصائص الاتساق والانسجام التي تجعل النص عبارة عن تسلسل للجمل"[2]. لذلك فلسانيات النص هي ذلك الاتجاه اللغوي الذي يعنى بدراسة نسيج النص انتظاما واتساقا وانسجاما، ويهتم بكيفية بناء النص و تركيبه بمعنى أن لسانيات النص تبحث عن الآليات اللغوية والدلالية التي تساهم في بناء النص وتأويله.

و يعرفه صبحي إبراهيم الفقي بقوله : "بأنه فرع من فروع علم اللغة الذي يهتم بدراسة جوانب عديدة أهمها الترابط والتماسك وسائله وأنواعه، و الإحالة المرجعية وأنواعها والسياق النصي ودور المشاركين في النص المنطوق والمكتوب على حد سواء" [3]. مما يدل على أن لسانيات النص تهتم بالمضمون من خلال إبراز وسائل التماسك النصي من الإحالة القبلية والبعدية، وأدوات الربط والوصل، ودور كل من المرسل والمرسل إليه في النص بنوعيه المكتوب والمنطوق.

---

[1] محمد عزام، النص الغائب تجليات التناص في الشعر العربي، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص26.

[2] دومينيك مانغو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم، بيروت ، ط1، 2008، ص24.

[3] صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية)، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، ط1، 2000، ص34.

وتطرق سعيد بحيري إلى مفهوم لسانيات النص، إذ رأى بأن لها قواعدها التي لم توجد في علوم سابقة لها قائلا : "نحو النص يراعي في وصفه وتحليلاته عناصر أخرى لم توضع في الاعتبار من قبل و يلجأ في تفسيراته إلى قواعد دلالية ومنطقية إلى جوار القواعد التركيبية ويحاول أن يقدم سياقات كلية دقيقة للأبنية النصية وقواعد ترابطها وبعبارة موجزة قد حددت مهام بعينها لا يمكن أن ينجزها بدقة إذا التزم حد الجملة "[1].

ومن ثم فإن لسانيات النص جاءت كبديل للسانيات الجملة التي اقتصرت على وصف اللغة وصفا نحويا معياريا. كما أنها تعتبر" فرع من فروع علم اللغة يدرس النصوص المنطوقة و المكتوبة ... وهذه الدراسة تؤكد الطريقة التي تنظم بها أجزاء النص، و ترتبط فيما بينها لتخبر عن كل المفيد "[2]. وعلى ما سبق، فإن لسانيات النص مجالها النصوص سواء كانت مكتوبة أو منطوقة فهي تسعى إلى تحليل البنى النصية واستكشاف العلاقات التي تساهم في اتساق النصوص وانسجامها والكشف عن أغراضها التداولية، فهدفها هو تحديد الوسائل التي مكنت من ربط الجمل وشكلت منها وحدة دلالية متلاحمة الأجزاء ومتراصة.

1 – 2 – نشأة لسانيات النص:

تعتبر لسانيات النص مكسبا أحرزته الدراسات اللغوية الحديثة، كما أنها تعد بمثابة "التحول الأساسي الذي حدث في السنوات الأخيرة في الدراسات اللسانية لأنه أخرجها نهائيا

[1] سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، دار توبار للطباعة، القاهرة ، ط1، 1997، 134

[2] صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ص23.

من مأزق الدراسات البنوية التركيبية التي عجزت في الربط بين مختلف أبعاد الظاهرة اللغوية البنوي والدلالي والتداولي"[1]. فعلم النص أو لسانيات النص أو علم لغة النص بمميزاته وأدواته تحليله حقل معرفي ظهر في السبعينات من القرن العشرين عندما كثر الحديث عن الحداثة وما بعد الحداثة، واتخذ من لسانيات الجملة ومن الأسلوبية والبلاغة وغيرها من المعارف القديمة والحديثة مطية له للولوج إلى علم الظهور والشهرة وكسب اهتمام واحترام الباحثين، وتداخلت في هذا العلم الاختصاصات، لأنه استثمر معظم النظريات اللغوية والنقدية التي سبقته. يقول **فان دايك:** "لدينا منذ القديم علم الشعر وعلم البلاغة اللذان عنيا بأبنية خاصة ووظائف جمالية أو إقناعية لنصوص أو أقوال أدبية ... وقد عني المرء في علم اللغة بوجه خاص بالبنية النحوية للجمل والنصوص ... ويعنى المرء في علم النفس وعلم التربية/ التعليم بالطرق المختلفة لفهم نصوص، كذلك يرتكز علم النفس الاجتماعي ويبحث الاتصال الجماهيري بوجه خاص على تأثيرات النصوص داخ الاتصال الجماهيري ... فإنه يمكن أن يصير واضحا أن تحليل بنية النصوص ووظائفها يتطلب منهاجا متداخل الاختصاصات"[2].

لقد إذا تداخلت اختصاصات كثيرة في هذا العلم كما ذكرنا انطلاقا من النظريات الاتصالية إلى الاتجاهات الوظيفية كعلم الاجتماع والأسلوبية والبلاغة والمناهج النقدية المختلفة وغيرها. فكان بمثابة البحر الذي تصب فيه روافد معرفية كثيرة. وهكذا فلسانيات النص كيان "يتسم بتشعبه إذ إننا لا نجد إلا قدرا ضئيلا من الاتفاق حول مفاهيمه وتصوراته

[1]– خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط2، 2006، ص167.

[2]– تون فان دايك، علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، 2001، ص10–11.

ومناهجه، فقد استوعب حدا لا يستهان به من المفاهيم نظرا لكثرة منابعه واتساع مشارب الباحثين فيه"[1]. هذا الاتساع قد أوجد بالضرورة علاقات مشتركة بينه وبين العلوم الأخرى، إلا أن الركيزة الأساسية التي يعتمد عليها هي اللسانيات لأنه يدرس الملفوظات اللغوية من جميع جوانبها ودراسة أبنيتها المختلفة، إلى جانب اهتمامه بالمنطوق والمكتوب معا.

لقد تجاوزت لسانيات النص حد الجملة وسعت إلى دراسة البنية النصية واكتشاف عناصرها كما تسعى إلى الوقف على مظاهر الاتساق وآليات الانسجام في تلك البنية؛ أي أنها تحاول كشف النظام الداخلي لمختلف النصوص عن طريق الوصول إلى القوانين والمعايير التي تحكم النص ولا يستقيم إلا بها. إلا أن هذا الاهتمام الذي حظيت به لسانيات النص لا يعني التقليل من أهمية اللسانيات والدراسات النحوية، إلا أنها لا يمكن أن نستغني عنها بأي شكل من الأشكال، وما كان هذا إلا لضرورة اقتضاها التطور اللغوي في مستوياته المختلفة ضمن التطورات العلمية الأخرى.

2 – التقاطعات بين مفهوم المناسبة ومفهومي الاتساق والانسجام

مما لاشك فيه أن لسانيات النص تنظر إلى النص على أنه وحدة متكاملة، و لهذا فالمدخل إلى التحليل النصي يكون بإبراز الخواص التي تؤدي إلى تماسكه وتعطي تفصيلا لمكوناته التنظيمية، كما تهدف لسانيات النص إلى رصد التلاحم بين أجزاء النص وروابطه الداخلية، وهذا ما جعل العديد من الباحثين اللسانيين يسلطون الأضواء على أحد الآليات

[1]– سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص17.

المهمة في تماسك النصوص وتعالقها في بنية النص، لذلك كان لابد أن نتعرف على معنى الاتساق وأدواته.

2 - 1 -مفهـوم الاتســـاق:

يعرف ابن منظور الاتساق: " استوفت الإبل واستوسقت: اجتمعت و قد وسق الليل و اتسق، وكل ما انضم، فقد اتسق، والطريق يأتسق ويتسق أي ينظم .... واتسق القمر: استوى، وفي قوله تعالى : :" فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ وَالقَمَرِ إِذَا اتَّسَق".[1]

ويقول الفراء: " وما وسق أي وما جمع و ضم واتساق القمر: امتلاؤه واجتماعه واستواؤه ليلة ثلاثة عشرة وأربعة عشر... والوسق: ضم الشيء إلى الشيء ... وقيل كل ما جمع فقد وسق ... والاتساق الانتظام "[2]. ومن خلال ما ورد في لسان العرب يتبين أن لمصطلح الاتساق عدة دلالات: كالاجتماع و الانتظام . أما في المعجم الوسيط فقد جاء تعريف الاتساق كما يلي: " وسقت الدابة تسق وسقا، وسوقا. حملت، ووسق الشيء: ضمه و جمعه .... ووسق الحبّ جعله وسقا وسقا، واتسق الشيء: اجتمع وانظم، واتسق: أنظم ، اتسق القمر: استوى وامتلأ، (استوسق) الشيء اجتمع و انظم، يقال: استو سقت الإبل، واستوسق الأمر: انتظم، ويقال أيضا: وسقت العين الماء: حملته"[3]

ويتضح مما سبق ذكره في المعجم الوسيط أن الاتساق يحمل أيضا معنى الانتظام وانضمام الأجزاء بربط بعضها ببعض وهو بهذا قريب من معنى الاتساق الذي تم ذكره في

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (وسق) ، ج 54 ، ص 4836

[2] المرجع نفسه، (نَ.سَ.قَ)، ص4284- 4285.

[3] جمال مراد حلمي وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 2004، مادة (نَ.سَ.قَ)، ص1032.

معجم لسان العرب فقد اشتركا في جعل الاتساق واحد ويدور عموما حول الجمع و انضمام الأجزاء

لقد نال مصطلح الاتساق النصي اهتماما كبيرا من علماء النص بداية بتوضيح مفهومه، ومرورا ببيان أدواته أو وسائله؛ وعوامله و شروطه؛ لأن هذه القضية تسهم باشتراك العناصر النصية الأخرى في التوصل إلى ما يطلق عليه بالنصية، فهذه الروابط و غيرها وسيلة مهمة للحكم على نصية النص. ونظرا لأهمية الاتساق نجد بعضا من علماء اللغة قد جعلوا عناوين كتبهم تحمل هذا المصطلح مثل كتاب هاليداي ورقية حسن Cohésion in english. وقد تم تعريف مصطلح الاتساق من طرف علماء و باحثين ومن بينهم أحمد عفيفي ذي يعرفه على أنه "معيار يهتم بظاهر النص، و دراسة الوسائل التي تحقق بها خاصية الاستمرار اللفظي وهو يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق"[1]. يتبين من هنا أن الاتساق ظاهرة لغوية من خلاله يتحقق الترابط الشامل للنص و ذلك من خلال الروابط الشكلية المحققة لتماسكه.

أما سعد مصلوح فقد ترجم الاتساق بـ"السبك" واعتبره تلك الوسائل التي تحقق لنا خاصية الاستمرارية بين مختلف الأحداث اللغوية الموجودة في ظاهر النص إذ يردف قائلا:

[1] أحمد عفيفي، نحو الصرف اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ، ط1، 2001، ص14.

"هو الوسائل التي تحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النص ... أي الأحداث اللغوية التي تنطق بها أو تسمعها"[1].

وأما محمد خطابي فقد عرف الاتساق على أنه: "ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكَّلة لنص/ خطاب ما، يهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي صل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته"[2].

أما عند الغربيين فهناك من حصر مفهوم الاتساق في الجانب الدلالي أمثال فان دايك الذي رأى بأن الاتساق هو "ذلك الترابط الموضوعي إذ يقر أن المجموعة التي لا تدور حول موضوع ما يصعب إيجاد روابط بينها، وبالتالي لا يمكن أن تكون نصا"[3]. كما يعرفه كل من هاليداي و رقيه حسن " أن مفهوم الاتساق مفهوم دلالي، إنه يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص والتي تحدده كنص"[4]، فقد حصر الباحثين الاتساق في المستوى الدلالي فقط، أما محمد خطابي جعل الاتساق يتعدى المستوى الدلالي فهو يتم في مستويات أخرى كالنحو والمعجم وهذا ما نوضحه من خلال المخطط التالي[5] :

[1] سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري: دراسة في قصيدة جاهلية، المجلة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، العدد2، مجلد10، يوليو 1991، ص154.

[2] محمد خطابي، لسانيات النص – مدخل إلى انسجام النص–، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1999، ص50.

[3] محمد الأخضر صبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم، القاهرة، 2001، ص82.

[4]– محمد خطابي، لسانيات النص، ص52.

[5]– المرجع نفسه، ص53.

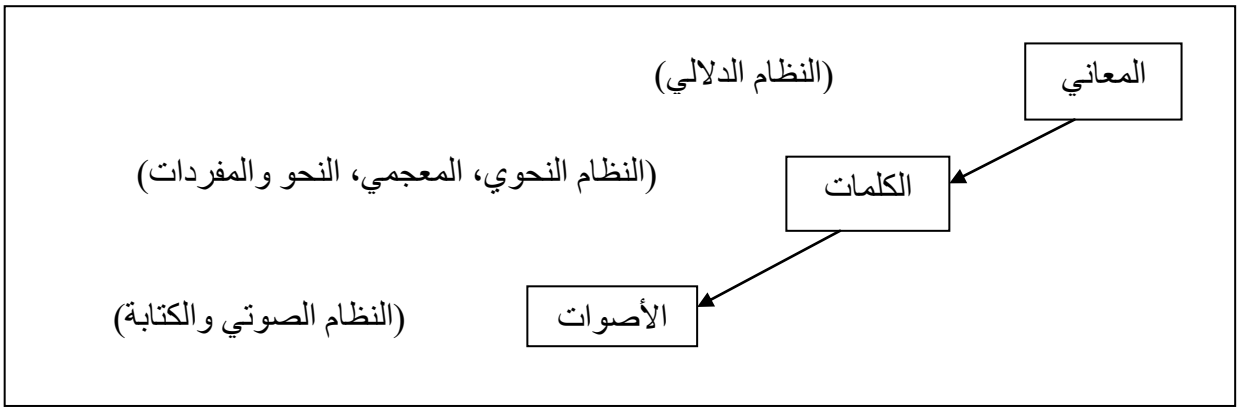

الشكل (01): مخطط الاتساق عند محمد خطابي

ويعرف carter الاتساق بقوله: "يبدو لنا الاتساق ناتجا عن العلاقات الموجودة بين الأشكال النصية، أما المعطيات غير اللسانية، فلا تدخل إطلاقا في تحديده"[1]. ويقصد بأن الاتساق هو ذلك الترابط الموجود بين أجزاء النص من بدايته إلى نهايته، لأن النص نسيج لغوي. وبالتالي فإن الاتساق هو الذي يضمن تماسك النص ويميزه عن اللانص، وتساهم مجموعة – كما سنرى لاحقا– من الوسائل والأدوات والدلالات النحوية في هذا، مما يجعل الاتساق يكون تركيبيا ودلاليا.

2 – 2 – أدوات الاتساق:

يعتبر كتاب هاليداي و رقية حسن 'التماسك في الإنجليزية' من أبرز من تحدث عن أدوات الاتساق، وهي خمسة كما ذكرت في مقدمة الكتاب: المرجعية référence، الاستبدال substitution، الحذف ellipsis، العطف conjonction الاتساق المعجمي lexical cohesion. ونوضح أدوات التماسك النصي في الرسم التالي:

[1]– نعمان بوقرة، المصطحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، العبدلي– عمان، ط1، 2009، ص50.

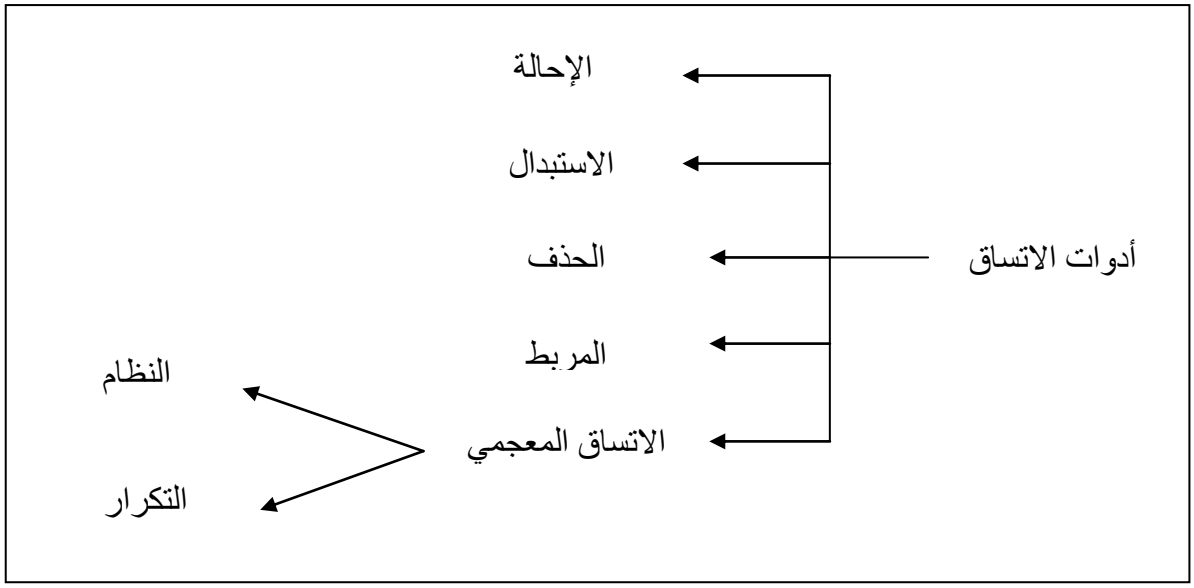

الشكل (02): مخطط أدوات التمساك النصي عند رقية حسن و هاليداي

أولا: الإحالة:

تعدّ الإحالة أكثر الظواهر اللغوية انتشارا في النصوص، فلا تكاد تخلو منها جملة أو نصا، ذلك أن أدواتها تشكل جسورا للربط بين أجزاء النص، وتقد على التحكم في الرسالة المبثوثة، مجبرة المتلقي على التنقل في فضاء النص.

يقول **الأزهر زناد:** "تطل تسمية العناصر الإحالية على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب، فشرط وجودها هو النص، وهي تقوم على مبدأ التماثل بينما ما سبق ذكره في مقام ما وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر"[1].

[1] الأزهر زناد، نسيج النص – الخطاب والإجراء–، تر: تمام حسن، عالم الكتب، القاهرة– مصر، ط1، 1998، ص18.

يعني أن العناصر الإحالية معناها مرتبط بالعناصر اللغوية التي تحيل إليها قبلية كانت أم بعدية في نص ما.

وفي هذا الصدد نجد **محمد خطابي** يقول: " تعتبر الإحالة علاقة دلالية ومن ثمة لا تخضع لقيود نحوية إلا أنها تخضع لقيد دلالي، وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال عليه"[1]. وذلك أن العنصر المحال يعتمد على عنصر آخر محال إليه، بحيث لا يمكن فهم الأول إلا بالعودة إلى ما يحيل عليه، وذلك لأن العناصر المحالة لا تمتلك دلالة مستقلة عن غيرها بل هي تابعة في دلالتها إلى عناصر أخرى.

وقد استعمل الباحثان **هاليدي ورقية حسن** مصطح الإحالة استعمالا خاصا: "وهو أن العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل إذ لا بد من العودة إلى ما نشير إليه من أجل تأويلها، وتمتلك كل لغة على عناصر تمتلك خاصية الإحالة، وهي حسب الباحثين: الضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة"[2].

ولعل ما أورد الباحثان هو أن للإحالة علاقة معنوية بين ألفاظ معينة (الضمائر وأسماء الإشارة) وما تشير إليه من أشياء أو معان حيث تشير هذه الألفاظ إلى أشياء سابقة أو لاحقة.

[1] محمد خطابي، لسانيات النص، ص18.

[2] المرجع نفسه، ص17.

قسمت الإحالة إلى أنواع بالنظر إلى موقع العنصر الإشاري مع النص، إذا كان داخل النص أو خارجه، ثم موقع هذا العنصر بالنسبة إلى اللفظ المحيل، أي إذا كان هذا الأخير قبله أو بعده، وقد حددت أنواع الإحالة هذه في المخطط الآتي:[1]

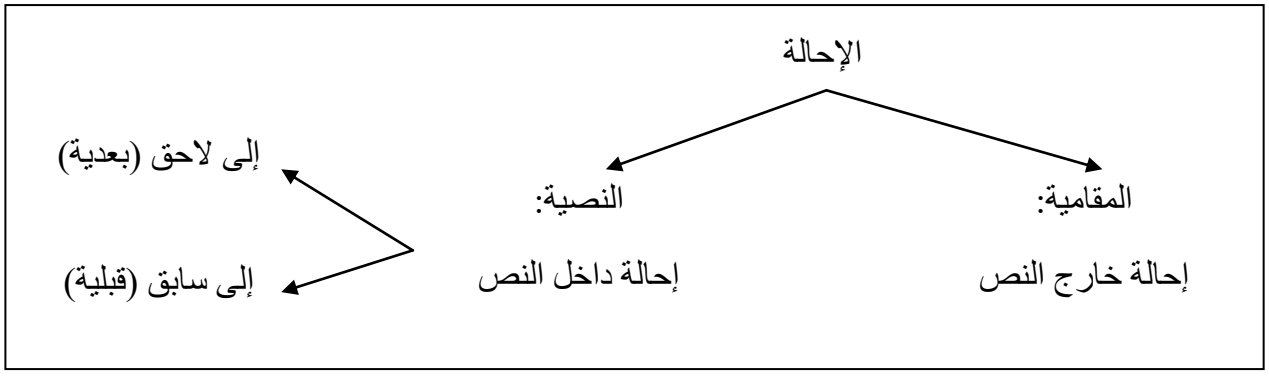

الشكل (03): أنواع الإحالات السياقية

إحالة خارج النص (المقامية):

يعرفها **الأزهر زناد** بقوله: "هي إحالة عنصر لغوي إحالي إلى عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي، كان يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم، حيث يرتبط عنصر لغوي إحالي بعنصر إشاري غير لغوي هو ذات المتكلم"[2].

بحيث تكون الإشارة إلى خارج النص، ولا يتم هذا النوع من الإحالة إلا بمعرفة الأحداث وسياق الحال والمواقف التي تحيل بالنص أو الخطاب حيث يمكن معرفة الشيء المحال عليه، ولهذا يجعلنا نبرز لأهميته الكبرى لمعرفة مناسبات النزول في دراستنا للنص القرآني، إذ كثيرا ما يصعب علينا تحديد عودة الضمير بسبب عدم معرفة سبب النزول.

[1] المرجع السابق، ص17.

[2] الأزهر زناد، نسيج النص، ص119.

إحالة داخلية (النص) :

عرفها **الأزهري زناد** بأنها: " إحالة على العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ سابقة أو لاحقة"[1].

وبذلك فإن الإحالة النصية هي إحالة إلى ملفوظ آخر داخل النص، حيث تلعب دورا هاما في خلق الترابط بين جزئيات النص، وفي هذا النوع من الإحالة لابد على المتلقي من العودة إلى العناصر المحالة عليها، فهي إحالة على العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ، سابقة كانت أو لاحقة، فهي إحالة نصية، وتنقسم بدورها إلى قسمين:

أ- الإحالة القبلية:

"ويسمى هذا النوع من الإحالة بالإحالة بالعودة، ذلك أنها تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سابقة في النص أو المحادثة، وفيها يجري تعويض المفسر الذي سبق التلفظ به بضمير أو بتكرار الذي سماه الأزهار زناد بالإحالة التكرارية"[2].

فالإحالة بالعودة هي نوع آخر من الإحالة وتتمثل في تكرار لفظ أو عددا من الألفاظ سبق وأن ذكرت وتعويضها بضمير.

ب- الإحالة البعدية:

ويعرفها علماء اللغة بأنها: "استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سوف تستعمل لاحقا في النص أو المحادثة"[1].

---

[1]- المرجع السابق، ص 118.

[2]- صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ص38.

هذا النوع من الإحالة هو استعمال عنصر (اللفظ المحيل) يشير إلى عنصر آخر (اللفظ المحال عليه) سوف يستعمل لاحقا في النص. ومن أمثلة هذا النوع قوله تعالى: "هُوَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحِيم"[الحشر– 22]، فالضمير (هو) يحيل إلى لفظ الجلالة (الله).

ويتضح من خلال هذا الشكل أن الإحالة تنقسم إلى قسمين: إما إحالة خارج النص أو إحالة داخل النص، وهذه الأخيرة تتوزع وسائل الاتساق الإحالية إلى ثلاث[2]:

01- الضمائر
02- أسماء الإشارة
03- أدوات المقارنة

– الضمائر:

تعد الضمائر أهم وسيلة من وسائل الاتساق الإحالية، لهذا أسهمت الدراسات النصية في تناولها، وحرصت على إبراز دورها في تماسك النص، فهي "أشهر نوع من الكلمات الكنائية وتنقسم إلى:

- ضمائر وجودية مثل: أنا– أنت– نحن– هو– هم– هن ...
- ضمائر ملكية مثل: كتابي– كتابك– كتابنا ..."[3]

[1] المرجع السابق، ص40.
[2] محمد خطابي، لسانيات النص، ص18.
[3] المرجع نفسه، ص19.

وإذا نظرنا إلى الضمائر من زاوية الاتساق، نستنتج بأن الضمائر الدالة على المتكلم والمخاطب تعتبر إحالة لخارج النص، فالضمائر (أنا، نحن) تشير إلى الكاتب، والضمائر (أنت، أنتم) تشير إلى القارئ، فهذه الضمائر لا تربط سابقا بلاحق، أما ضمائر الغائب فهي إحالات نصية، كونها تربط العنصر اللاحق بالسابق أو العكس.

- أسماء الإشارة:

وهي الوسيلة الثانية من وسائل الاتساق الإحالية حيث تعتبر محيلات نصية تقوم بالربط القبلي والبعدي، غير أن الغالب عليها هو الربط القبلي كونها تربط عنصر بعنصر سابق

يقول **الأزهر زناد:** "وإذا كانت الضمائر تحدد مشاركة الشخوص في التواصل أو الغياب عنه فإن أسماء الإشارة تحدد مواقفها في الزمان والمكان وأجل المقام الإشاري وتنقسم في اللغة العربية حسب المسافة الفاصلة بين المحيل والمحال عليه"[1].

لقد قام **الأزهر زناد** هنا بإجراء مقارنة بين أسماء الإشارة والضمائر وبيان عمل كل واحد منها. إن الحديث عن المقارنة يفرض وجود شيئين – على الأقل– يشتركان في معنى ما مع زيادة أحدهما على الآخر.و"حسب الباحثين **هاليداي ورقية حسن** فقد قسما المقارنة إلى قسمين:

- عامة: يتفرع منها التطابق، التشابه، الاختلاف.
- خاصة: تتفرع إلى نقطتين: كمية، كيفية"[2].

[1] الأزهر زناد، نسيج النص، ص120.

[2] محمد خطابي، لسانيات النص، ص19.

قال تعالى:"وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا"[الكهف- 01]، ، (الهاء) ضمير متصل يعود على سابق وهو الكتاب (إحالة نصية قبلية بضمير).

- قال تعالى: "وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ"[الكهف- 27] كاف الخطاب ضمير متصل يعود على الرسول ﷺ (إحالة مقامية بضمير المخاطب).

- قال تعالى: "وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا" [سورة الكهف -57]،(هذا) اسم إشارة يشير إلى لاحق بعده هو القرآن (إحالة بعدية باسم الإشارة).

ثانيا: الحذف

يعد الحذف ظاهرة من الظواهر اللغوية التي شغلت بال الكثير من الباحثين والدارسين المهتمين وذلك لأنها تشكل نوع من الإثارة والغموض (مستوى الدرس اللغوي القديم)، كما تعد خاصية تمتاز بها اللغات الإنسانية خاصة لغتنا العربية التي تتميز بالفصاحة والبلاغة، إذ يقر **ابن جني** بذلك قائلا: "وأعلم أن العرب – مع ما ذكرناه- إلى الإيجاز وعن الإكثار أبعد، ألا ترى أنها في حال إطالتها وتكرارها مؤذنة باستكراه تلك الحال وملالها"[1].

ولقد دعت الحاجة إلى استعمال الحذف في اللغة لعلم المخاطب به، ولأغراض يريد المتكلم إيصالها له، لكن السؤال المطروح: ما حقيقة هذه الظاهرة؟ وما دورها في الربط بين مختلف الوحدات اللغوية وتحقق التماسك والاتساق بينهما؟

[1] ابن جني، الخصائص، تر: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، القاهرة، 1952، ج1، ص83.

يذهب **دي بوجراند** إلى أن الحذف هو: "استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن، أو أن يوسع أو يعدل بواسطة العبارات الناقصة، وأطلق عليه تسمية الاتقاء بالمبنى العدمي"[1]. فهو يشير إلى أن الحذف لا يعني نقصان في النص بالعكس فهو يحقق وحدة النص.

يقول **محمد خطابي** بأن كل من **هاليداي ورقية حسن** قد ذهبا إلى أن الحذف "علاقة داخل النص، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق وهذا يعني أن الحذف عادة قبلية"[2]. وقد قسما الحذف إلى ثلاثة أنواع:

أ- الحذف الاسمي: "ويقصد به حذف اسم داخل مركب اسمي، لأجل تحقيق أغراض بلاغية كالتحقير مثلا"[3]. قال تعالى: "مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلا كَذِبًا" [سورة الكهف- 05]. فالمحذوف (قولا) في عبارة (إِنْ يَقُولُونَ إِلا كَذِبًا) هو قولا، وتقدير الكلام: (إِنْ يَقُولُونَ إِلا قَوْلا كَذِبًا) دلت عليها كلمة (يقولون) [دليل سابق].

ب- الحذف الفعلي: يكون المحذوف عنصرا لغويا فعليا.

قال تعالى:" وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ"[سورة الكهف-18]. فالتقدير: (نقلبهم ذات اليمين ونقلبهم ذات الشمال).

---

[1] دي بوجراند، النص والكتاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة ، ط1، 1998، ص340.

[2] محمد خطابي، لسانيات النص، ص21.

[3] مصطفى عبد السلام أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 199، ص235.

ج- حذف جملة، شبه جملة أو أكثر: "كحذف جملة القسم، وجملة جواب الشرط"[1].

نموذج: قال تعالى: "إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (10) فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا" [سورة الكهف - 10 و11].والتقدير: (فاستجبنا دعاءهم فضربنا)، فهذا الحذف حقق الاتساق بين الآية 11 و10.

ثالثا: العطف (الوصل- الربط)

للعطف أهمية كبيرة في بناء اتساق النص وتماسكه، وهذا ما يوضحه قول **محمد خطابي** بأن "النص عبارة عن متتاليات متعاقبة خطيا، ولكي تدرك كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النص"[2].

وعنى هذا أن النص عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة خطيا، ولكي تكون متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النص. فهذه العناصر تربط اللاحق مع السابق بشكل منظم. وقد قسم الباحثان **هاليداي ورقية حسن** الوصل إلى أربعة أنواع هي: إضافية، عكسية، سببية، زمنية.

أ- الربط الإضافي: ويتم بالاعتماد على أداتين (الواو) وَ (أو). قال تعالى: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا"[الكهف- 01]. (ولم يجعل) معطوفة على (أنزل).

[1] صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ص235.

[2] محمد خطابي، لسانيات النص، ص23.

ب- الربط العكسي: "الذي يعني على عكس ما هو متوقع. ويتم بواسطة أدوات مثل: لكن، غير، إن ..."[1] . قال تعالى:"قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (70) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا" [الكهف – 70 و71]. في الآيات السابقة ربط عكسي بين (لا تبتدئ بسؤال منك حتى أخبرك لوحدي، لكن موسى عليه السلام لم يصبر وخالف كلام الخضر وسأله).

ج- الربط السببي: هو إدراك العلاقة المنطقية بين جملتين أو أكثر، أي نربط بين السبب والنتيجة ونعبر عن هذه العلاقة بعناصر مثل: لهذا السبب، بسبب ذلك ...

د- الربط الزمني: " هو تلك العلاقة بين جملتين متتابعتين زمنيا"[2]، ويكون هذا الربط بواسطة حرف العطف (ثم). قال تعالى:" ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا" [الكهف- 12]. فبعد أن دعوا الله أن يرحمهم فضرب على آذانهم ثم بعثناهم.

رابعا: الاستبدال

يعتبر الاستبدال مصدرا أساسيا من مصادر اتساق النصوص، وله مكانة هامة في التحليل النصي، كما يعتبر ظاهرة من الظواهر التي نحقق الترابط النصي. و"الاستبدال عملية تتم داخل النص، إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر"[3]، فالاستبدال يتم من خلال وضع

[1] المرجع السابق.

[2] المرجع نفسه، ص24.

[3] المرجع نفسه، ص19.

لفظ مكان آخر داخل النص، وهذا ما يضفي تماسكا على مستوى الشكل. وله عدة أنواه منها:

أ- استبدال اسمي: وهو استبدال اسم باسم آخر. قال تعالى: " وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ"[الطلاق- 06].(أخرى) مستبدلة من (امرأة).

ب- استبدال فعلي: استبدال فعل بآخر. قال تعالى: "وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (23) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ" [سورة البقرة – 23 و24]. (تفعلوا) مستبدلة من (فآتوا).

ج- الاستبدال القولي (العباري): قال تعالى:" مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ" [المائدة32)] "فقد فسر المفسرون قوله تعالى (ذلك) بأنه ما ذكر في تضاعيف القصة"[1]؛ أي أنه جاء بديلا للعبارات السابقة كلها.

خامسا: الاتساق المعجمي

يعد هذا النوع آخر مظهر من مظاهر اتساق النص، حيث يتضح هذا الأخير وسائل أخرى غير وسائل الاتساق النحوي (كالإحالة، الاستبدال، الحذف، الوصل) ففيه تحدد الكلمات المتشابهة أو المرادفة في النص. وينقسم بدوره إلى قسمين:

[1] أبو الفضل شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، دار الفكر، بيروت، 1978، ص117.

أ- التكرار: "هو وسيلة إحالية تكرارية، تتمثل في تكرار لفظ أو عددا من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد"[1].

فالتكرار أحد الظواهر التي وردت في اللغة العربية عموما وفي القرآن الكريم خصوصا، ووجود التكرار في النص يساهم في ترابط وحدات النص، فكثرة ورود عنصر ما يقوي المعنى. قال تعالى:"وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ"[يس-47] نلاحظ أنه تكرّر لفظ الجلالة (الله) مرتين في نفس الآية.

ب- التضام: هو من وسائل الاتساق المعجمي. ويتخذ أشكالا مختلفة نحو: التضاد، التنافر، علاقة الجزء بالكل.وبالتالي فهو يحدث نوعا من التفاعل بين الكلمات وهذا ما يولد اتساق بين الجمل.قال تعالى:" مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا"[الكهف49]. فالتضاد في قوله (صغيرا ǂ كبيرا).وهناك الكثير منى الآيات التي تجسد فيها التضاد بين المفردات مثل: الجنة ǂ النار ، الدنيا ǂ الآخرة.

2 -3 - مفهوم الانسجام

من المعروف أن لسانيات النص تنظر إلى النص كوحدة متكاملة، وهذا ما أدى بها إلى البحث عن تماسكه فكان ذلك من خلال ظاهرة الاتساق الذي يعتبر أهم أدوات هذا العلم، ولكن هذا الأخير كما سبق ذكره كان أساس اهتمامه البنية السطحية الظاهرية التي تبحث في الترابط الشكلي للنصوص مما جعلها تمهيدا للباحث بغية الغوص في أعماق

[1] أحمد عفيفي، نحو النص، ص106.

النص و البحث في خباياه التي تساهم في ترابطه من جانب المعاني و الأفكار المتواجدة فيه، وهذا ما يبحث عنه الانسجام فالترابط الدلالي للنص مكمل لترابطه الشكلي، نقطة وصول إلى تماسكه الكلي، لأن النص عندما يكون مترابطا من الناحية الفكرية، نقول أن نصيته لم تكتمل كون الأول يعطينا التماسك السطحي للنص، والثاني يعطينا التماسك العميق للنص و الترابطات الدلالية التي توصلنا إلى عالم النص و وحدته الكلية، فهما وجهان لعملية واحدة لا يمكن لوجه الحضور دون الآخر أو التفريق بينهما، فلا يمكن دراسة الاتساق بمعزل عن الانسجام و العكس صحيح

يطلب الانسجام من المتلقي النظر إلى علاقات خفية قائمة داخل النص المراد دراسته، وإلى النظر فيما ليس هو شكليا ولا معجميا، حيث يهتم بترابط المفاهيم، والعلاقات الدلالية المتحققة داخله لذلك فالانسجام أعم من الاتساق وأعمق منه. فمن المفاهيم التي وظفتها لسانيات النص في الكشف عن التلاحم بين الجمل والفقرات والنص بكامله، هو مفهوم الانسجام أما فيما يخص مفهومه الاصطلاحي فيمكن البحث عنه من خلال آراء النصانيين الذين تحدثوا عنه، وأبرزوا المقصود منه.

وقد عرف **فان دايك** الانسجام على أنه "التماسك الدلالي بين الأبنية النصية الكبرى"[1]، وقد ربط **فان دايك** بين التماسك الدلالي والبنية العميقة، بينما التماسك الشكلي يخص البنية السطحية للنصوص، فالأول يدرسه الانسجام، والثاني يهتم به الاتساق، فالانسجام عنده عبارة عن مجموعة من العلاقات الدلالية التي تربط الأجزاء الكبرى للنص

[1] سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص220.

في بنيته العميقة. في حين أن **صبحي إبراهيم الفقي** يرى بأنه "مجموع العلاقات التي تربط معاني أقوال الخطاب، أو معاني الجمل في النص، وبصفة عامة يصبح النص متماسكا إذا وجدت سلسلة من الجمل تطور الفكرة الرئيسية..."[1]،فمن خلال هذا القول يتضح أن الانسجام في دراسته يركز على ترصد كيفية استمرارية الجمل من حيث المعنى والتي تنشأ من الجملة النواة لتتناسل وتتوالد منها الجمل الأخرى.

و ذهب أيضا **محمد خطابي** " إلى أن الانسجام أعم من الاتساق، كما أنه يغدو أعمق منه، بحيث يتطلب الانسجام، من المتلقي، صرف الاهتمام جهة العلاقة الخفية التي تنظم النص و تولده، أي تجاوز المتحقق فعلا أي الاتساق إلى الكامن وهو الانسجام "[2]. لقد قام **محمد خطابي** بإجراء مقارنة بين الانسجام والاتساق وتوصل إلى نتيجة مفادها أن الانسجام أعمق وأعم من الاتساق، لأن الانسجام يوجد في البنية العميقة في النص.

أما **صبحي إبراهيم** فذهب إلى التوحيد بين مصطلحي الاتساق والانسجام، حيث رأى" أن كليهما يعنيان التماسك النصي، فالأول يحقق التماسك الشكلي للنص، والثاني يهتم بعلاقات التماسك الدلالية بين أجزاء النص وما يحيط به من سياقات"[3].

من هذه التعريفات يمكن القول أن الانسجام هو الترابط والتماسك الدلالي، والعلاقات والمفاهيم الخفية الموجودة في النص، والتي نستدل عليها من خلال معارفنا السابقة، وكذلك يمكن التعرف عليها من خلال سياق النص.

---

[1] صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ص94.

[2] محمد خطابي، لسانيات النص، ص06.

[3] – صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ص96.

2 – 4 – آليات الانسجام:

تلعب آليات الانسجام دورا هاما في ربط أجزاء النص ربطا دلاليا وتجعله متماسك الوحدات، فمن بين هذه الآليات نجد:

أولا: السياق

رغم ظهور وتطور نظرية السياق عند العرب إلا أن جذورها تعود في الأصل إلى العلماء المسلمين العرب حيث بينوا أهميته و عناصره (مقالية، حالية)، و يعتبر **الشافعي** أول من بيَّن ذلك بقوله:"الكلام يكون عاما ظاهرا يراد به العام ويدخله الخاص، و ظاهرة يعرف من سياقه أنه يراد به غير فكل هذا موجود في أول الكلام أو وسطه أو آخره، فقد يكون الظاهر من الكلام غير مقصود لكن السياق الذي يحدد المعنى المراد"[1]، فعلماء الشريعة و التفسير لا يكتفون بإدراج المعنى المعجمي، و إنما يدمجون إليه المعنى السياقي و يظهر إدراك البلاغيين لأهمية السياق في اشتراطهم مطابقة الكلام لمقتضى الحال، و اشتهرت مقولتهم: " لكل مقام مقال، إذا لا يقتصر المعنى على السياق اللغوي (المقال) بل يتجاوزه إلى سياق الحال (المقام)، و قد كان البلاغيون عند اعترافهم بفكرة المقام متقدمين ألف سنة تقريبا على زمانهم لأن الاعتراف بفكرتي المقام أو المقال بوصفها أساسيتين متميزين من أسس تحليل المعنى "[2].

[1]– حسن هادي محمد عباس التميمي، البحث البلاغي عند الأصوليين، تح: عبد الرحمن شهاب أحمد، الجامعة المستنصرية، بغداد، 2004، ص50.

[2]– تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة– مصر، ط3، 1998، ص337.

أما عند الغربيين فنجد **هاليداي** يعرف السياق على أنه: "النص الآخر، أو المصاحب للنص الظاهر، وهو بمثابة الجسر الذي يربط التمثيل اللغوي ببيئته الخارجية"[1]. ومن هنا يتضح أنه يشير إلى جانب إنتاج النصوص واستقبالها وهذا يتم من خلال رصد مجموع الدلالات الخارجية التي تشير إلى ذلك،"وكثيرا ما يرد الشبه بين الجمل و العبارات مع وجود بعض الفوارق التي تميز بينها، فلا نستطيع فهم و شرح هذه الفوارق إلا بالعودة إلى السياق اللغوي الذي وردت فيه، فاختلاف سياقات الجمل هو الذي يجرنا إلى تعدد المعاني"[2].

نستنتج مما سبق أن السياق عنصرا هاما في دراسة النصوص، فهو إطار عام تنتظم فيه عناصر النص ووحداته اللغوية. وكان محور اهتمام لسانيات النص وعلم اللغة بصفة عامة، ولقد شهد السياق مسارا أكثر بعدا في الدراسات التداولية.

وفيما يلي نورد بعض السياقات التي كانت عاملا أساسيا في انسجام سورة (يس) كنموذج على أثر الانسجام، و قد ذكرها بعض المفسرين في تفاسيرهم لسورة (يس):حيث يسوق **سيد قطب** بعض السياقات لمحور السورة، و هو بناء أسس العقيدة ومن هذه السياقات:

– تتعرض السورة لطبيعة الوحي و صدق الرسالة منذ افتتاحها قال تعالى: "يس (1) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (2)إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (3) عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (4) تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ"[يس - 1 - 5].

[1]– محمد خطابي، لسانيات النص، ص30.

[2]– المرجع نفسه، ص31.

– وفي قصة أصحاب القرية تحذير للمكذبين من عاقبة التكذيب بما جاء به الرسول ﷺ، في قوله تعالى:"قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (15)قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (16) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ" [يس - 15 -17]. وقوله تعالى: "وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (20) اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ(21) " [يس - 20 و21].

- وعن إثبات حقيقة الوحي قال تعالى: "وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ (69) لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ(70) " [يس - 69 و70]. هذا كان عن إثبات الوحى و الرسالة.

– أما عن قضية الألوهية و الوحدانية، ففي السورة استنكار للشرك وإثبات وحدانية الله عز وجل على لسان الرجل المؤمن الذي جاء يسعى إلى جانب قومه، و يحاججهم فيما جاء به المرسلون،حيث يقول: "وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (22) أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ(23) " [سورة يس].[1]

ثانيا: مبدأ التغريض:

يرى **محمد خطابي** أن "مفهومي التغريض والبناء يتعلقان بالارتباط الوثيق بين ما يدور في الخطاب وأجزائه وبين عنوان الخطاب أو نقطة بدايته ... وينبغي أن نميز بين التغريض كواقع وبين التغريض كإجراء خطابي يطرأ ويبنى به عنصر معين في الخطاب.

[1]– ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، 5، دار الشروق، القاهرة، ط2، 2019، ص2956.

وقد يكون هذا العنصر اسم شخص أو قضية ما أو حادثة"[1]. فالتغريض يقصد به أن معظم عناصر النص تدور في فلك موضوع واحد انطلاقا من العنوان، ذلك أن لكل نص بؤرة تبدأ من نقطة البداية وتحوم حول هذه البؤرة أو النواة بقية أجزاء النص. إن عنوان النص يقوم بدور تأويلي فعال؛ لأنه يحدد الرؤية وله علاقة وطيدة مع التغريض "فالعنوان وسيلة قوية للتغريض"[2].

ونورد فيما يلي نموذج على ذلك، ويتمثل في سورة الكهف، **حيث** "أطلق عليها اسم الكهف لأنها تحيلنا إلى المكان الذي تم اللجوء إليه من أجل الاحتماء من ظلم القوم وخوف الوقوع في الفتنة، فهناك علاقة وارتباط بين اسم السورة والموضوعات التي تعالجها، فالكهف كان سببا من أسباب سلامة أهل الإيمان من بطش الكفار وفتنتهم"[3]، وهذا ما يبين لنا مدى انسجام محتوى السورة وتعلقه وارتباطه باسمها.

[1]– محمد خطابي، لسانيات النص، ص59.

[2]– المرجع نفسه.

[3]– مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، دمشق، ط4، 2005، ص 180.

خـــــــاتمة

و خاتمة لما سبق، وكما أن لكل بداية نهاية لقد آن أوان شمس بحثنا أن تأفل وتغربراجين من المولى أن تكون قد أتت أكلها ، و كانت زبدة رحلتنا و خلاصة نظرنا فيها ما يلي :

– إن القرآن معجزة الله الخالدة وهو كتاب صالح لكل زمان ومكان .

– الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم و تراص سوره بعضها لبعض، جعلها كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، حتى صارت كالشيء الواحد المجمل .
– المناسبة القرآنية علم شريف دقيق ، يتطلب غزارة العلم و ثقب النظر وطول التدبر والإمعان .

– إن ما ورثناه من التراث اللغوي القرآني لهو بمثابة الذخيرة الفريدة لأمة القرآن وجب رعايتها والحفاظ عليها و تطويرها .

– إن النظرة اللسانية النصية – نرى فيها تجريدا للقرآن من روحانياته لأن الهدف من لم المناسبة إبراز الاعجاز و السعي للفهم عن المتكلم سبحانه . بخلاف الألسنية النصية التي تدرس الظواهر اللغوية وما يصلح استعماله للنصوص العادية لا يليق بمقام النصوص القدسية .
– إن الدارس لهذا النوع من الفنون يلزمه بسطة علم و نفاذ بصيرة و رجاحة عقل و نبوغا بل هو فتح من رب العالمين يختص به عبادا هم أهل لهذا ، وما أحسب إقدامنا الموضوع إلا ورطة أدركتنا كنه العلم و أنه لا يستطاع براحة الجسد و لا يتأتى بقصر الأمد وما عسانا إلا أن حسبنا من الدراسة أن يصدق فينا حديث رسول الله ﷺ عن فضائل تدراس القرآن " إلا نزلت عليهم السكينة و حفتهم الملائكة و غشيتهم الرحمة و ذكرهم الله فيمن عنده

– إن العلوم اللسانية النصية لا بد أن توظف لأجل إثبات الإعجازية و البرهنة على أنه

ليس كلام بشر بل كلام الله ، لا لأجل الدراسة اللغوية فقط ، ولتكن الغاية الاسمى منه جعلها مطية و سيلة للفهم و العمل به.

القرآن الكريم :

∃مصحف رواية حفص عن عاصم ، طبعة مجمع الملك فهد ، المملكة العربية السعودية

المراجع و المصادر :

- ابن جني، الخصائص، تر: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، د.ط، 1952، ج1، ص83.
- أبو الحسين مسلم بن الحجاج،صحيح مسلم المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ مجلس التحقيق العلمي لدار السلام، الطبعة الثانية، دار السلام،الرياض،المملكة السعودية ،2000م.
- أبو الفضل شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، دار الفكر، بيروت– لبنان، د.ط، 1978،
- أبو القاسم جارالله محمود بن عمرالزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،الطبعة الثالثة،دار المعرفة،بيروت لبنان س 2009.
- أبو محمدعبد الحق بن غالب بن عطية الاندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،تح:عبد السلام عبد الشافي محد، دار الكتب العلمية،بيروت لبنان 2001.
- أبوبكرعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي ،الاتقان في علوم القرآن،تحقيق مكتب الدراسات القرآنية مجمع الملك فهد ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة ، المملكة السعودية.
- أحمد بن الزبير الغرناطي ، البرهان في ترتيب سور القرآن ، تحقيق : محمد شعباني ، وزارة الاوقاف المملكة المغربية ، 1990 ص
- أحمد عفيفي، نحو الصرف اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة– مصر، ط1، 2001، ص14.
- الأزهر زناد، نسيج النص – الخطاب والإجراء–، تر: تمام حسن، عالم الكتب، القاهرة– مصر، ط1، 1998، ص18.
- إقبال نجم ، التناسب ودوره في الاعجاز القرآني ،رسالة ماجستير، جامعة الكوفة 2009 ص 150

- بدرالدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن، تحقيق : يوسف عبد الرحمن المرعشلي و آخرون ،دار المعرفة ، بيروت لبنان 1990 .
- برهان الدين أبو الحسن إبراهيم البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات و السور، الجزء الاول ،تحقيق : دائرة المعارف العثمانية محمد عمران الأعظمي، دار المعارف الاسلامية ، القاهرة ، مصر ، 1984.
- تمام حسن، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة- مصر، ط3، 1998.
- تون فان دايك، علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، مصر، د.ط، 2001.
- جار الله أبو القاسم محمود الزمخشري الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التاويل ، الطبعة الاولى ، دار ابن حزم ، بيروت لبنان 2012 .
- حسن هادي محمد عباس التميمي، البحث البلاغي عند الأصوليين، تح: عبد الرحمن شهاب أحمد، الجامعة المستنصرية، بغداد- العراق، د.ط، 2004، ص50.
- خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط2، 2006، ص167.
- دومينيك مانغو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم، بيروت- لبنان، ط1، 2008.
- دي بوجراند، النص والكتاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة- مصر، ط1، 1998، ص340.
- سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري: دراسة في قصيدة جاهلية، المجلة المصرية العامة للكتاب، مصر، العدد2، مجلد10، يوليو 1991.
- سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، دار توبار للطباعة، القاهرة- مصر، ط1، 1997،
- سعيد حوى ، الاساس في التفسير، الجزء الاول ،دار السلام
- سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، ط2، 2001، .

- سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم ، دار الشروق ، الطبعة العاشرة ، 2013 ، القاهرة ، مصر.
- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، مصر، ط2، 2019، ج5، ص2956.
- السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، تح عبد القادر أحمد عطا ، الطبعة الاولى ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، 1986
- شوقي البوعناني،مبدأ الانسجام في تحليل الخطاب القرآني من خلال علم المناسبات،الطبعة الاولى ، دار النشر مؤمنون بلا حدود ، الرباط ، المغرب2018.
- صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية)، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، ط1، 2000.
- الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، الجزء ألاول ، الدار التونسية للنشر ، تونس
- عبد الحميد كشك ،في رحاب التفسير، ، المكتب المصري الحديث .
- فاضل صلاح السامرائي ، قبسات من البيان القرآني ، دار ابن كثير، دمشق سورية ، الطبعة الثانية 2015 .
- محمد الأخضر صبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم، القاهرة- مصر، د.ط، 2001، ص82.
- محمد بن أحمد القرطبي،الجامع لأحكام القرآن، الجزء الخامس عشر ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الرسالة ناشرون ، بيروت لبنان ، 2006.
- محمد بن يوسف أبو حيان الاندلسي ، البحر المحيط ، تحقيق عادل احمد عبد الموجود و آخرون ، ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الطبعة الاولى
- محمد خطابي، لسانيات النص – مدخل إلى انسجام النص-، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، ط1، 1999.
- محمد عزام، النص الغائب تجليات التناص في الشعر العربي، منشورات إتحاد الكتاب العرب، سوريا، د.ط، 2001،.
- محمد عمر بازمول، علم المناسبات في السور و الآيات ، المكتبة المكية ، مكة المكرمة ، 2002 .

- محمد فخر الدين الرزاي، التفسير الكبير – مفاتيح الغيب – ، ، دار الفكر بيروت لبنان.
- مشهور موسى مشهور مشاهرة ، رسالة ماجستير التناسب القرآني عند الامام البقاعي – دراسة بلاغية ، جامعة الاردن 2001،
- مصطفى عبد السلام أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة– مصر، د.ط، 1992،.
- مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، دمشق– سوريا، ط4، 2005.
- نعمان بوقرة، المصطحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، العبدلي– عمان، ط1، 2009.
- هارون كيحل ، منار الجدد في علم العدد ، الطبعة الاولى ، دار الشافعي للنشر ، قسنطينة ، 2019

المعاجم

- أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة،تح عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت لبنان.
- إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين بيروت لبنان،1399هـ/1979م.
- بدوي طبانة ، معجم البلاغة العربية ، الطبعة الثالثة ، دار المنارة و دار الرفاعي ، المملكة العربية السعودية 1988.
- جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، عبد الله علي الكبير و آخرون، دار المعارف، القاهرة،1981.
- جمال مراد حلمي وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط1، 2004.

المجلات العلمية:

- نوح الأول جنيد ، ظاهرة المناسبة و اتساق النص القرآني ، مجلة حوليات التراث . جامعة مستغانم ، العدد 2011/11 .
- عبد العزيزي تواتي ، التماسك النصي و علم المناسبات ، مجلة دراسات و أبحاث ، جامعة محمد بوضياف المسيلة.
- عبد الحكيم الأنيس ، بحث أضواء في ظهور علم المناسبة ، ، المجلة الأحمدية .

الموسوعات الالكترنية :

الموسوعة الشاملة

الموسوعة الحديثية الالكترونية،

المواقع الالكترونية :

- موقع الدرر السنية، الدكتور علوي بن عبد القادر السقاف، https://dorar.net/hadith.
- كرسي الامام الشاطبي ، الأستاذ الدكتور عبد الرحيم نبولسي : https://youtu.be/B-tmUIINjJU و https://youtu.be/_xFD4LLkPDM
- كرسي الامام مالك ، الدكتور سعيد الكملي : https://youtu.be/0E6uyB86yug

المحتويات	الصفحة
مقدمة	أ – ث
المدخل	04
1المناسبة لغة:	05
2المناسبة صطلاحا	06
3نشأة علم المناسبة وتطوره	06
4مواقف العلماء من المناسبة في القرآن الكريم	08
5أهمية المناسبة الخطاب القرآني والخطاب العادي	11
الفصل الأول: المناسبة بين الآيات والسور في الدراسات القرآنية	13
1المناسبة بين الآيات في الدراسات القرآنية	13
1 – 2 تعريف الآية لغة واصطلاحا	13
1 –2 أدوات تحقق المناسبة بين الآيات في الدراسات القرآنية	15
1 –3 أنواع المناسبة بين الآيات في الدراسات القرآنية	20
2 المناسبة بين السور في الدراسات القرآنية	26
2 –1 تعريف السورة لغة واصطلاحا	26
2 –2 المناسبة بين السور في الدراسات القرآنية (أنواعها وأدوتها)	28
الفصل الثاني: المناسبة بين الآيات والسور من منظور لسانيات النص	34
1 لسانيات النص بين المفهوم والنشأة	35
1 –1 مفهوم لسانيات النص	36
1 –2نشأة لسانيات النص	37
2 التقاطع بين مفهوم المناسبة ومفهومي الاتساق والانسجام	39
2 –1 مفهوم الاتساق	40
2 –2 أدوات الاتساق	43
2– 3 مفهوم الانسجام	55
2– 4 آليات الانسجام	58

خاتمة	63
قائمة المصادر والمراجع	65
الفهرس	70

ملخص :

هـذا مبحـث تطـرق فيـه الباحثـان لـبعض علـوم اللغـة والقـرآن وعلـوم اللسـان ، تمحـور حـول علـم المناسـبة القرآنيـة و علـم اللسـانية النصـية ، ومنظـور كـل منهمـا لـنص القـرآن الكـريم ، أريـد لـه بحـث التقاربـات أو التقاطعـات بـين هاتـه العلـوم ، و السـعي لتوظيـف كـل منهمـا خـدما للآخـر، لقـد أثبـت العلـم والبحـث وجـود الكثيـر مـن التقاربـات و العجـب أن بعـض التنظيـرات النصـية فـي الانسـجام و الاتسـاق كانـت كامنـة فـي ثنايـا سـلائق العـرب و أذهـانهم و قـام علمـاء العربيـة بتطبيـق هاتـه القواعـد واسـتخلاص الفوائـد و اسـتخراجها ، وأمـا مـا هـو عنـد الالسـنيين وجـود هاتـه القاوعـد التنظيريـة و انعدام المهارة في تطبيقها وتجسيدها .

Abstract :

This is a topic in which the two researchers touched on some linguistic sciences, the Qur'an and the sciences of the tongue. It revolved around the science of the Qur'anic occasion and the science of textual linguistics, and the perspective of each of the text of the Holy Qur'an. The research found that there are many convergences and it is surprising that some textual theorizations of harmony and consistency were latent in the folds of the Arab predecessors and their minds, and Arab scholars applied these rules and extracted the benefits

and extracting them, and as for the linguistics, the existence of these theoretical bases and the lack of skill in their application and embodiment

Keywords: occasion. Quranic studies. Modern textual studies